التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي ـ مملكة البحرين SDPA 499 العدد 219 السنة 24 ـ فبراير 2026

بطالة الأطباء .. إلى متى؟

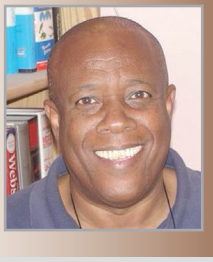

«الرِبح على حساب الناس»

موقفنا

أميركا حليف لا يعــوّل عليــه

تشكّل سياسات الرئيس الأميركي دونالد ترامب نموذجاً صارخاً، لتقلبات سياسة واشنطن في علاقتها مع حلفائها من الدول التي تنظر إليها كسند يركن إليه في مواجهة المخاطر، فأزمة الثقة في الولايات المتحدة كحليف ليست مسألة عابرة، فالتاريخ يشهد على سلسلة من السياسات المتقلّبة، والوعود التي كثيراً ما تُستدعى في لحظة الحاجة ثم تُنسى عند أول منعطف مصلحي.

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، قدّمت الولايات المتحدة نفسها بوصفها الضامن الأكبر للنظام الدولي، وراعية الاستقرار، وحامية ما يزعمون أنّه «العالم الحر»، غير أنّ هذا الدور، الذي أضفيت عليه، زيفاً، قيم الحرية وحقوق الإنسان سرعان ما انكشف عن وجه آخر: وجه القوة التي ترى في الحليف ورقة قابلة للاستبدال.

ورغم أنّ أميركا لم تكن يومًا دولة بلا حلفاء، لكنها نادراً ما كانت حليفاً يُعتمد عليه دون شروط. فالتحالف معها لا يعني الاستقرار بقدر ما يعني الدخول في مدار متغيّر، تعيد تشكيله الإدارات المتعاقبة، حيث يجد حليف الأمس نفسه فجأة خارج الحسابات، لأن ميزان الربح والخسارة أعيد ترتيبه، فتصدعت فكرة «الحليف الاستراتيجي»، لتحلّ محلها فكرة أكثر براغماتية وأقل طمأنينة: الشريك المؤقت.

كثيرةٌ هي المرّات التي لم تتردد فيها واشنطن في التخلي عن حلفائها عندما لم يعودوا صالحين للمشهد الجديد. أُسقطت أنظمة كانت حتى الأمس القريب «صديقة»، وتُركت أخرى لمصيرها بعد أن أدّت وظيفتها، وبهذا المعنى لا تُربك الولايات المتحدة خصومها فقط، بل حلفاءها أيضاً، فالقوة غير المتوقعة، مهما بلغت، تولّد قلقاً لا ثقة، ولم تعد الدول تسأل: هل أميركا قوية؟ فالقوة مفروغ منها. السؤال هو: هل يمكن الركون إلى هذه القوة؟

تتوالى الشواهد التي تجعل الإجابة بالنفي على هذا السؤال، فهاهو ترامب يدخل في مواجهة مع أقرب حلفاء واشنطن، أعضاء حلف الناتو، وها هي إدارته تتخلى عن دعم كرد سوريا، الذين أوهمتهم واشنطن بالحماية الصارمة طوال أكثر من عقد، ما يجعل منطقياً السؤال عما إذا كنّا في الخليج قد تعلّمنا الدرس من كلّ هذا، وفهمنا أنّ واشنطن يمكن أن تتخلى في أي لحظة عن صفة الخليج الموثوق لبلداننا تبعاً لحسابات مصالحها؟.

التقدمي

المكتب السياسي للتقدمي:

الملفات المعيشية ضاغطة ويجب ألا تكون الحلول على حساب المواطن

أكد المنبر التقدمي أن عدداً من الملفات المعيشية والاجتماعية باتت تشكل مصدر قلق متزايد للمواطنين، وفي مقدمتها ملف العاطلين الباحثين عن عمل، وتداعيات رفع الدعم عن الكهرباء والماء والوقود، إلى جانب زيادة رسوم بعض الخدمات الحكومية، محذراً من انعكاسات ذلك على الطبقة الوسطى ومحدودي الدخل باعتبارهم ركناً أساسياً للاستقرار الاجتماعي.

جاء ذلك خلال اجتماع المكتب السياسي للتقدمي برئاسة الأمين العام عادل متروك، حيث ناقش الاجتماع ما وصفه بالأزمة البنيوية التي يعيشها المجتمع، منتقداً توصيف الجهات الرسمية لهذه الإجراءات باعتبارها «إصلاحية»، بينما يرى أنها تزيد الأعباء على الطبقة العاملة والطبقة الوسطى وتؤدي إلى تآكل الدخل الحقيقي واتساع الفجوة الاجتماعية.

وأكد التقدمي رفضه للقرارات الأخيرة المتعلقة بالكهرباء والماء والمحروقات، مطالباً بأن تُعالج معاناة المواطنين بمسؤولية وطنية توازن بين متطلبات الإصلاح الاقتصادي وحق المواطنين في العيش الكريم.

وفي ملف الباحثين عن عمل، أشار المكتب السياسي إلى تفاقم القضية في ظل غياب رؤية وطنية شاملة، معتبراً أن الوقفات التي نفذها عدد من العاطلين أمام وزارة العمل تعكس حجم الضغوط التي يواجهونها، ودعا إلى حلول مستدامة تقوم على سياسات تشغيل فاعلة وربط مخرجات التعليم بسوق العمل وضمان العدالة في التوظيف. كما رحب بإعلان تشكيل لجنة تحقيق برلمانية بشأن ملف الباحثين عن عمل، مطالباً بأن تكون أعمالها شفافة وتفضي إلى توصيات عملية.

وعلى الصعيد السياسي، حذّر التقدمي من الانجرار إلى المواجهات المسلحة في الإقليم، مؤكداً أن ما يُطرح من «خطط سلام» تتعلق بالقضية الفلسطينية، خصوصاً بعد التطورات في غزة، يمثل محاولات لإعادة إنتاج واقع الاحتلال وفرض تسويات مجحفة تتجاهل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.

جمعيات سياسية : نرفض الزيادات الحادة لتعرفة الكهرباء والماء والبنزين

رحبت الجمعيات السياسية الموقعة على بيان مشترك بقرار سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء بشأن الحفاظ على تعرفة الشريحتين الأولى والثانية لاستهلاك الكهرباء والماء للمواطنين، وبحزمة المبادرات الحكومية الهادفة لتحسين الوضع المالي العام للدولة، كما رحبت بالبيان الصادر عن 28 نائباً الرافض لرفع الدعم عن الكهرباء.

وفي المقابل، أعربت الجمعيات عن رفضها الشديد لمضاعفة تعرفة الشريحة الثالثة للكهرباء من 16 فلساً إلى 32 فلساً، ورفع تعرفة الشريحة الثالثة للماء من 200 فلس إلى 775 فلساً للمتر المكعب، معتبرة أن هذه الزيادات "حادة" وستثقل كاهل معظم العوائل البحرينية، ولا تراعي حجم الأسر وظروف المساكن والاعتبارات المناخية، مؤكدة أن هذه الإجراءات تفرغ الحديث عن استمرار الدعم من مضمونه الحقيقي.

كما رفضت الجمعيات رفع أسعار البنزين الممتاز والجيد إلى 235 و220 فلساً على التوالي،

محذّرة من أن رفع أسعار الغاز لا يميز بين المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والكبيرة، وأن أي زيادات في البنزين ورسوم العمل والكهرباء والماء ستنتقل بالكامل إلى المواطن، بما يهدد استقرار الأسر ويدفع شرائح منها إلى حافة الفقر، خصوصاً في ظل وقف زيادات المتقاعدين وضعف الرواتب والأجور وتقلص فرص العمل.

وفي جانب آخر، لفتت الجمعيات إلى أن فرض ضريبة بنسبة 10٪ على الشركات المحلية المسجلة فقط قد يفتح ثغرات لتحايل بعض الشركات الدولية الكبرى غير المسجلة عبر التعاقد من الباطن، لا سيما في قطاعات الخدمات والبرمجيات الرقمية والخدمات النادرة، بما يضر بالعدالة التنافسية والإيرادات المستهدفة.

وأكدت الجمعيات أن أي إصلاحات مالية يجب أن تكون متدرجة وعادلة وشفافة، وألا تمس الحقوق الأساسية للمواطنين، وفي مقدمتها الحصول على الخدمات الأساسية بأسعار ميسرة، بما يحفظ استقرار الطبقة الوسطى باعتبارها ركيزة الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، وطالبت الحكومة بوقف أي زيادات حادة على الكهرباء والماء والبنزين، وإعادة النظر في آليات فرض الرسوم والضرائب على الشركات، مع إشراك السلطة التشريعية وممثلي المجتمع المدني في صياغة القرارات لضمان العدالة وعدم تحميل المواطنين أعباء إضافية.

قطاع النقابات في التقدمي:

رفع أسعار المحروقات والكهرباء يزيد الأعباء ويحمّل الكادحين كلفة الأزمة

أعرب قطاع النقابات العمالية والمهنية في المنبر التقدمي عن قلقه الشديد إزاء القرارات الصادرة بشأن رفع أسعار المحروقات وتعرفة استهلاك الكهرباء، معتبراً أن هذه الخطوات تأتي في وقت يواجه فيه المواطن أعباء معيشية متزايدة وضغوطاً اجتماعية واقتصادية متراكمة.

وقال القطاع في بيان صادر عنه إن هذه القرارات تمثل "حلقة جديدة في تحميل الطبقة العاملة والفئات الشعبية كلفة الأزمة الاقتصادية"، مشيراً إلى أن مراكز الثروة ورأس المال "تبقى بمنأى عن أي مساهمة عادلة في تحمّل الأعباء".

وأوضح البيان أن رفع أسعار الوقود وتعرفة الكهرباء لا يمكن النظر إليه كإجراءات مالية منفصلة، بل يعكس - بحسب وصفه - "اختلالاً بنيوياً في السياسات الاقتصادية" ينحاز تاريخياً لمصالح رأس المال على حساب العمل، ويحوّل الخدمات الأساسية مثل الكهرباء والطاقة من حقوق اجتماعية إلى سلع خاضعة لمنطق السوق والربح.

وبيّن القطاع أن الخيار الاقتصادي القائم، وفق ما ورد في البيان، يقوم على الضغط على الأجور الحقيقية من خلال رفع كلفة المعيشة دون أي زيادة مقابلة في الدخول، إلى جانب تعميق استغلال قوة العمل عبر رفع تكاليف السكن والطاقة والنقل، ونقل عبء العجز المالي من الدولة إلى المجتمع بدلاً من مساءلة أنماط توزيع الثروة والامتيازات.

وأشار البيان إلى أن هذه القرارات ستنعكس بشكل مباشر على شروط العيش الكريم للطبقات الشعبية، وقد تؤدي إلى إضعاف قدرة الأسر العاملة على توفير متطلبات الحياة الأساسية في مجالات الصحة والتعليم، بما يسهم في إعادة إنتاج الفقر عبر الأجيال، محذراً في الوقت نفسه من تفاقم هشاشة العمال في القطاعات الإنتاجية والخدمية نتيجة ارتفاع تكاليف التشغيل وما قد يصاحب ذلك من تهديدات للوظائف والأجور.

واعتبر القطاع أن هذه السياسات تشكل تكريساً لنهج اقتصادي "نيوليبرالي" يقلّص دور الدولة الاجتماعي، ويجعلها أداة لإدارة مصالح رأس المال بدلاً من ضمان العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للموارد.

فضفضة

علم الطبقات

عيسى الدرازي

في علم الجيولوجيا، كلما تعمّقنا أكثر في طبقات الأرض، ارتفعت درجة الحرارة، واشتد الضغط، وقلّت المساحات الآمنة. هذه ليست نظرية سياسية، بل حقيقة علمية لا تختلف عليها المراجع ولا تحتاج إلى لجان تفسير. ومع ذلك، يبدو أن بعض هناك تفضيل لدراسة الطبقات من الأعلى فقط، حيث الهواء ألطف، والرؤية أوضح، الصورة أبسط وأقل تعقيداً.

في الخطاب السائد، يجري التركيز المكثف على»الطبقة المتوسطة» باعتبارها العمود الفقري للاستقرار، وحجر الأساس للنمو، والهدف المثالي لكل السياسات. لكن السؤال الذي لا يُطرح كفاية: ماذا عن الطبقات التي تقع أسفل هذا السطح المصقول؟ ماذا عن أولئك الذين يعيشون أقرب إلى «نواة» المجتمع، حيث ترتفع حرارة الأسعار، ويزداد ضغط الإيجارات، وتصبح الخدمات الأساسية عبئًا لا يُحتمل؟

الطبقة المتوسطة نفسها، التي يُفترض أنها في منطقة الأمان الجيولوجي، لم تعد قادرة على امتصاص الصدمات. موجات الغلاء المتتالية، تغيّر أنماط الدعم، وارتفاع كلفة المعيشة، جعلتها تتآكل ببطء، تنزلق طبقةً بعد أخرى نحو الأسفل، بينما يستمر الخطاب في التعامل معها كأنها ثابتة في مكانها، محصّنة من الانهيارات.

أما الطبقات الأدنى، فهي الغائب الأكبر عن النقاش. لا تُذكر إلا كأرقام، أو كهوامش في تقارير، أو كعبء يجب «ترشيده». يُتخذ القرار بشأن الأسعار، والدعم، والخدمات، ثم يُقال لاحقًا إن «الأثر سيكون محدودًا»، دون أن يُسأل: محدود على من؟

الاقتصاد الذي يركّز على طبقة واحدة، ويتجاهل البقية، لا يبني دولة متماسكة، بل يُنتج سوقًا. سوقًا تُصنّف فيه الأسر حسب قدرتها الشرائية، وتُرصّ على أرفف متفاوتة الارتفاع، كما في هايبر ماركت أجنبي، حيث لا قيمة للإنسان خارج بطاقة السعر، ولا معنى للاستقرار خارج القدرة على الدفع.

الدولة التي تُقاس قوتها بسلامة طبقة واحدة فقط، هي هو نموذج هش مهما بدا متماسكاً على السطح. فالتاريخ، كما الجيولوجيا، يُعلّمنا أن الانفجارات لا تبدأ من الأعلى، بل من الأعماق التي أُهملت طويلًا، حتى وصلت حرارتها حدّ الانصهار.

هذا ليس علم اقتصاد... هذا علم طبقات.

في ندوة بالتقدمي:

رامي رشيد يستعرض الدور العربي بتجسيد الدولة الفلسطينية

استعرض الكاتب والناشط الفلسطيني رامي رشيد، في ندوة استضافها ملتقى التقدمي الأسبوعي، المحطات التاريخية للدور العربي في دعم قيام وتجسيد الدولة الفلسطينية المستقلة، بوصفه ركيزة أساسية بمسيرة الشعب العربي الفلسطيني نحو قيام هذه الدولة، بدءاً من القمة العربية في القاهرة عام 1964، مروراً بالمؤتمر الفلسطيني الاول الذي انعقد في مدينة القدس في الفترة 28 مايو – 2 يونيو 1964، الذي أعلن فيه عن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية بمبادرة من القمة العربية، بعد 16 عاماً من التيه والضياع غيبت الكيانية السياسية الرسمية للشعب العربي الفلسطيني، فنشأت الحاجة للكيان الوطني الجامع الذي يعيد للشعب صوته وهويته وحقه في تقرير المصير.

وتجاوباً مع نتائج حرب أكتوبر 1973، طرحت منظمة التحرير الفلسطينية في مجلسها الوطني 12 المنعقد عام 1973 م مشروع إقامة الدولة الفلسطينية على أي جزء تنسحب منه دولة الإحتلال أو يتم تحريره، عبر ما سمي برنامج النقاط العشرة أو البرنامج المرحلي.

وأشار المحاضر إلى قرار مؤتمر القمة العربي في الرباط 1974، باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب العربي الفلسطيني واعتراف الدول العربية بذلك، ما يسر حصول المنظمة على صفة عضو مراقب في الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد خطاب الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات أمام الجمعية، في 13 نوفمبر 1974، لتصبح أول حركة تحرر عالمية في التاريخ تحصل على هذا الإعتراف، ولاحقاً حصلت المنظمة على صفة عضو كامل العضوية في جامعة الدول العربية عام 1976 لتتحمل مسؤوليتها في أي حلول سلمية قادمة .

وفي 15 نوفمبر 1988 أعلن المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة عشرة المنعقدة بالجزائر «وثيقة الإستقلال» التي تعترف بقرار التقسيم وبقراري مجلس الأمن 242 و 338، وبادر الملك حسين، ملك الأردن، بفك الإرتباط مع الضفة الغربية فور إعلان الدولة ليتيح لإخوانه الفلسطينيين التفاوض على إدارة الضفة الغربية مع الإحتفاظ للأردن بالمسؤولية عن المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس.

تتالى اعلانات القمة العربية دعمها لفكرة قيام الدولة الفلسطينية ، كما فعلت قمة الرباط في عام 1989، التي أيدت المبادرة الفلسطينية السياسية بإعلان إستقلال دولة فلسطين واعترفت فوراً 102 دولة بفلسطين كدولة وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارين : عقد مؤتمر دولي للسلام و الإعتراف بإعلان فلسطين كدولة، ثم إطلاق مبادرة السلام العربية 2002 من قبل مؤتمر القمة العربية في بيروت.

التقدمي يدين العدوان الأمريكي على فنزويلا

أدان المنبر التقدمي في البحرين ما وصفه بـ"العدوان الإمبريالي الأمريكي" على جمهورية فنزويلا البوليفارية، والذي قال إنه وقع فجر السبت الموافق 3 يناير 2026 عبر عمليات جوية وبحرية متزامنة استهدفت العاصمة كاراكاس وعدداً من المدن الأخرى، وتسببت في قصف منشآت مدنية وعسكرية، إضافة إلى اختطاف الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو وزوجته.

واعتبر التقدمي في بيان له أن التصعيد العسكري جاء تتويجاً لسلسلة من الإجراءات العدائية خلال الأسابيع الماضية، شملت فرض حصار بحري واحتجاز ناقلات نفط فنزويلية، مؤكداً أن الهدف من هذه الخطوات هو تقويض الحكومة الشرعية والسيطرة على الثروات الوطنية، وفي مقدمتها الموارد النفطية والمعدنية.

وطالب التقدمي في بيانه مجلس الأمن الدولي باتخاذ إجراءات فورية لوقف الهجوم وحماية المدنيين، داعياً الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى عقد جلسة طارئة وفق قرار "الاتحاد من أجل السلام"، كما دعا التقدمي المجتمع الدولي إلى إدانة ما وصفه بالسلوك العدواني وتقديم مساعدات إنسانية عاجلة للشعب الفنزويلي، مؤكداً تضامنه الكامل مع فنزويلا وحق شعبها في تقرير مصيره واختيار نظامه السياسي والاقتصادي بعيداً عن أي تدخل خارجي.

ضمن فعاليات ملتقى التقدمي الأسبوعي

ندوة تناقش إشكالية العروض المسرحية والحضور الجماهيري

نُظّمت في المنبر التقدمي ندوة بعنوان «إشكالية العروض المسرحية والحضور الجماهيري» قدّمها الدكتور عباس القصاب، تناول خلالها التحديات التي تواجه المسرح، وأسباب تراجع حضور الجمهور للعروض المسرحية في المرحلة الراهنة.

وأكد القصاب أن الإشكالية ليست في الجمهور بقدر ما هي في طبيعة العروض المقدّمة، مشيرًا إلى أن تراجع دور المسرح يترافق معه انحسار ثقافي ومعرفي وفني، وحرمان المجتمع من أحد ملامحه الحضارية، باعتبار المسرح مرتبطًا بالمدنية ولا يزدهر إلا في المدن المتقدمة. واستعرض القصاب دوافع المشاهدة لدى الجمهور، ومنها المتعة الذهنية والحسية، والمشاركة الوجدانية الجماعية، واكتشاف حقائق جديدة، مقابل عوامل تدفع الجمهور للابتعاد عن المسرح، أبرزها ضعف الدعاية والإعلام، وغياب النجوم، واتجاه الفنانين نحو التلفزيون والسينما لأسباب مالية، وسوء اختيار مواعيد العروض، إضافة إلى الإشكالات اللوجستية المرتبطة بالصالات والبروفات، وتزايد المنافسة من البدائل الترفيهية مثل السينما ومنصات المشاهدة. كما تطرق المحاضر إلى النخبوية التي تبتعد بالمسرح عن قضايا الناس والشارع، منتقدًا تحول بعض المهرجانات المسرحية إلى عبء على الحركة المسرحية بسبب التركيز المفرط على الجوائز على حساب تطوير التجربة المسرحية ذاتها.

بصراحة

المـواطــن المطحـــون

ضجَّت البحرين في يوم الاثنين 29 ديسمبر 2025 قبل انتهاء الساعة الثانية عشرليلاً، و دخول يوم الثلاثاء 30 ديسمبر 2025؛ طوابير السيارات في محطات البترول لشحن سياراتهم به قبل أن ترتفع أسعاره، ولكي يوفر المواطن المطحون بعض الفلوس وإن كانت قليلة، فهو في حاجة إليها، ربما يطعم بها لليلةٍ واحدة أولاده بوجبة عشاء بسيطة ومتواضعة.

من يصدِّق بأن هذا المواطن البحريني يعيش في بلد لازال ينتج 250 ألف برميل في اليوم ويكرِّر النفط الخام للشقيقة المملكة العربية السعودية، وتحيط بجزيرتنا المتعبة بلدان خليجية غنية تعتبر الأولى في العالم من حيث المنتوج النفطي والغاز، بالإضافة إلى المخزون الاحتياطي منهما، من يصدِّق انّه يوجد فقراء ومحتاجون في البحرين؟

عندما يسافر البحريني إلى بعض البلدان العربية، يعتقدون بأنه يسبح في بحيرة من النفط، فقط لأن البحرين بلد خليجي، ولا يعرفون واقع ذلك المواطن ومعاناته اليومية من أجل أن يوفر لقمة عيش إلى أبنائه، ناهيك عن إشكاليات كبرى مثل توفير العمل والسكن، إضافة إلى توفير قدرٍ من المال من أجل الدراسة الجامعية لأبنائه.

كثير منً المواطنين أصبحوا يطرحون جزءاً من معاناتهم في وسائل التواصل الاجتماعي، حيث يعيش معهم أبناؤهم الخريجون الجامعيون العاطلون عن العمل ولسنوات، وفي الوقت الذي لا يزال بعض المسؤولين يفضلون الموظفين الأجانب، فيوظفوهم على حساب الخريجين الجامعيين، زاعمين بأن رواتبهم أقل، ولكن واقع العمل يقول بأن تكاليف تشغيلهم باهظة، ومنذ أكثر من عشرين سنة، والسلطة التنفيذية تجرب وتطرح رؤى وتضع الخطط والبرامج، بما فيها رؤية 2025، لم تنجز الأولى من وإذا بها تضع الثانية!

شيء إيجابي بأن تكون هناك رؤى وخطط، ولكن هناك تساؤل ماذا حققت هذه الرؤى، بمعنى أين النتائج وما هي الإخفاقات والتعثرات التي يجب تخطيها في الرؤى الجديدة، قبل صرف ملايين الدنانير، كما يتوجب على الحكومة أن تفكك المنظومة البيروقراطية أولاً، وتتصدى للفساد المالي والإداري، الذي تكشف تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية السنوية جوانباً منه، وأن تقلل من الجهاز الحكومة المترهل، فلماذا توجد هيئة مقابل الوزارة، فيما المتعين أن نكتفي إما بهيئة أو بوزارة، وكمثال فإنه في مقابل وزارة الكهرباء والماء، توجد بالمقابل هيئة الكهرباء والماء، فهل هناك ضرورة لوجود الهيئة، وينطبق هذا على باقي الوزارات التي توجد هيئات لها نفس المهام.

عندما يتم مواجهة الفساد والفاسدين في الحكومة، وترشيد الإنفاق، سوف تتوفر لدى الدولة سيولية مالية، لا الاعتماد على جيب المواطن المطحون أو اللجوء إلى رفع الدعم عن الكهرباء والماء والطاقة، ورفع أسعار استهلاكها، فهذا ليس حلاً ، بل هروباً إلى الأمام.

هناك مواضيع أخرى يتطلب معالجتها وإيجاد حلول لها وهي قديمة منها ملف العاطلين عن العمل، وملف إعادة زيادة المتقاعدين السنوية 3٪ وغيرها، إضافة إلى تقليل سنوات الانتظار لبيوت الإسكان. هذا في البعد الاجتماعي، أما في البعد السياسي فيتعين إغلاق ملف المعتقلين والسجناء السياسيين، وإنهاء العزل السياسي لشريحة واسعة من المواطنين.

فاضل الحليبي

كثير من المواطنين أصبحوا يطرحون معاناتهم في وسائل التواصل الاجتماعي

تقـــدّم: نـــرفـــض الـــزيـــــادة
فـــي تعـــرفة الكهـربـــاء والمـــاء وأسعـــار المحـــروقـــات

أكدت كتلة تقدّم البرلمانية موقفها الرافض بشكل قاطع لأي زيادة في تعرفة الكهرباء والماء، أو أي تعديل بالرفع على أسعار الوقود والمحروقات، مشددة على أن استقرار المجتمع وحماية مكتسبات المواطنين يمثلان أولوية وطنية لا يجوز المساس بها.

وأوضحت الكتلة في بيان لها أن موقفها يأتي انطلاقًا من مسؤوليتها الوطنية والتشريعية، وحرصها المستمر على الدفاع عن مصالح المواطنين وصون الأمن والاستقرار الاجتماعي، مؤكدة أنها ستبقى جزءًا فاعلًا في حماية حقوق المواطنين وتعزيز عوامل الطمأنينة المجتمعية.

وبيّنت الكتلة أن التوافقات الأخيرة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية شملت عددًا من المسارات والإجراءات ذات الصلة بالإصلاح المالي وتحفيز الاقتصاد، من بينها التوجه نحو فرض ضريبة على أرباح الشركات، وزيادة سعر الغاز الطبيعي للمصانع والشركات، إلى جانب فرض رسوم على خدمات الصرف الصحي مع استثناء المسكن الأول للمواطنين.

كما تضمنت التوافقات استمرار إطلاق برامج توظيف المواطنين، ورفع رسوم العمل تدريجيًا على العمالة الأجنبية – مع استثناء العمالة المنزلية – بهدف تحسين فرص التوظيف للمواطنين وتعزيز تنافسيتهم في سوق العمل، بالإضافة إلى زيادة الضريبة الانتقائية على المشروبات الغازية، وفرض رسوم على الأراضي الاستثمارية غير المطورة التي تتوفر فيها خدمات البنية التحتية.

وأشارت الكتلة إلى أن التوافقات شملت كذلك إطلاق مبادرات تهدف إلى خفض المصروفات الإدارية للحكومة بما يدعم الاستدامة المالية، وزيادة مساهمات الشركات الحكومية في الميزانية العامة للدولة، فضلًا عن تسهيل الإجراءات الحكومية الداعمة للاستثمار وتعزيز فاعليتها لاستقطاب الاستثمارات الأجنبية وتمكين القطاع الخاص من أداء دور أكبر في التنمية الاقتصادية.

الشـــويـــخ: استنـــــزاف مـــلايـيـــن
مـــن أربـــاح «ممتلكـات» فـــي تجـــارب غيـــر مجـديـــة

أكد عضو كتلة "تقدّم" النائب الدكتور مهدي الشويخ أن الدفع بمشروع قانون يقضي بإلزام شركتي "ممتلكات البحرين القابضة" و"بابكو إنرجيز" بتحويل نسبة لا تقل عن خمسين بالمائة من صافي أرباحهما السنوية إلى الميزانية العامة للدولة، هو استحقاق وطني ملحّ، وأشار إلى أن التشريع يهدف إلى تصحيح المسار المالي وتوجيه الفوائض لخدمة المواطن الذي بات يواجه أعباءً معيشية متزايدة.

وأوضح الشويخ في مداخلة له بجلسة النواب أن هذا التحرك يأتي ضمن تسع مبادرات طرحت مؤخراً لرفد الميزانية العامة، مشدداً على أن استمرار الحكومة في الرفض بحجة تغطية خسائر الشركات التابعة هو منطق لم يعد مقبولاً، خاصة بعد سنوات من استنزاف الملايين في تجارب غير مجدية كملف "طيران الخليج"، بينما تعاني الدولة من تضخم الدين العام وارتفاع كلفة فوائده.

وبيّن الشويخ أن إقرار هذا القانون سيوفر سيولة مباشرة لتمويل مشاريع البنية التحتية والبرامج الاجتماعية المقررة لميزانية العامين 2025 و2026 دون الحاجة للجوء إلى مزيد من الاقتراض.

ولفت إلى أهمية الخطوة في تقليص العجز المالي وضمان استدامة الإنفاق على الخدمات الوطنية بعيداً عن تقلبات أسعار النفط العالمية، مختتماً مداخلته بالتأكيد على أن هذا التشريع سيعزز من الدور الرقابي للبرلمان، من خلال إلزام الحكومة بتقديم البيانات المالية المدققة لهذه الشركات، مما يضمن أعلى درجات الشفافية في إدارة الأصول السيادية وتوجيه عوائدها لتحسين المستوى المعيشي للمواطنين.

سلمان: تحويل أرباح الشركات الحكومية للميزانية لحماية الاستقرار وتقليص العجز

قال عضو كتلة تقدّم النائب عبدالنبي سلمان إن الاستقرار الاجتماعي والمالي في البحرين يواجه تحديات حقيقية، مشددًا على أن تعزيز مالية الدولة لن يتحقق إلا عبر قرارات جريئة وإصلاحات هيكلية، وفي مقدمتها رفع مساهمة أرباح الشركات الحكومية وشبه الحكومية ضمن الميزانية العامة بشكل عادل.

وخلال مناقشة مشروع قانون تعديل المادة (10) من المرسوم بقانون رقم (39) لسنة 2002 بشأن الميزانية العامة، قال سلمان إن هناك توافقًا سابقًا على حماية الاستقرار الاجتماعي وتعزيز الوضع المالي، إلا أن هذا التوافق لم ينعكس بصورة عملية في التعاون والتكامل بين الجهات المعنية.

وأشار إلى أن المجلس النيابي تقدّم منذ سنوات بمقترحات إصلاحية، منها الأراضي البيضاء والضريبة على الشركات، لكنها قوبلت بالرفض قبل أن تعود الحكومة لتطبيق بعضها لاحقًا بعد "نفاد البدائل"، معتبرًا أن ذلك يعكس غيابًا للنهج الاستباقي والشراكة الفاعلة.

وانتقد سلمان ضعف الشفافية حول إدارة الأرباح، متسائلًا عن مصير المبالغ المتبقية، ومؤكدًا حق المواطنين في معرفة أين تذهب هذه الأموال، خصوصًا مع وجود عشرات الشركات الحكومية تحت مظلة "ممتلكات"، ومحدودية مساهمتها الحالية مقارنة بحجمها، مؤكداً أن النواب لم يتوافقوا مع الحكومة بشأن زيادات الكهرباء والماء والبترول، محمّلًا الحكومة مسؤولية فرض هذه الزيادات، ومطالبًا بمصارحة المواطنين بوضوح.

وختم بالتأكيد على أن تحويل 50٪ من أرباح الشركات للميزانية العامة مطلب مشروع وقانوني، يمكن أن يسهم في تقليص العجز خلال فترة وجيزة إذا اقترن بإصلاحات حقيقية، داعيًا إلى قرارات تاريخية تعزز الاستقرار وتحقق استدامة مالية للبلاد.

شويطر: غياب معرض الكتاب نيل من مكانة البحرين الثقافية

قالت عضو كتلة تقدّم النائب إيمان شويطر إن غياب معرض البحرين الدولي للكتاب كلّ هذه السنوات هو نيل من مكانة البحرين الثقافية، ومن دورها الريادي في المجال الثقافي المشهود به من قبل الجميع، ويعزّ علينا أن نشاهد دولنا الشقيقة تحرص على اقامة معارض الكتاب السنوية في مواعيدها، وتستقطب دور النشر العربية والأجنبية، والعديد من ضيوف هذه المعارض من الأدباء والشعراء والمفكرين في الفعاليات المصاحبة لهذه المعارض، فيما يغيب معرضنا للكتاب كلّ هذه السنوات دون تقديم أي سبب مقنع.

جاء ذلك تعليقاً على رد وزير الإعلام بصفته الوزير المسؤول عن هيئة البحرين للثقافة والآثار أمام السلطة التشريعية على سؤال تقدمت به النائب شويطر عن أسباب التأجيل المستمر لمعرض البحرين الدولي للكتاب، من 2023 حتى هذا العام.

وأضافت شويطر أن معرض الكتاب هو مساحة لتدشين كتب ومؤلفات كتابنا وأدباءنا ومثقفينا ومفكرينا البحرينيين الذين تزخر بهم البحرين، ويشاركون في معارض خليجية وعربية لتدشين كتبهم، والبحرين أولى بدعمهم واحتضانهم. والمعرض يعتبر وجه مهمّ من وجوه التشجيع على القراءة، وتعزيز مكانة الكتاب، وعلامة على حيوية المشهد الثقافي في البلد المعني، وهذا ما بتنا نفتقده كل هذه السنوات، ولا يجوز السماح باستمرار تأجيله.

وأضافت شويطر: كنت أتمنى أن يحمل جواب الهيئة المقدم من وزير الإعلام تبريرات مقنعة أو منطقية لأسباب هذا التأجيل المستمر، لكن للأسف الرد لم يحتو على جواب عن هذا السؤال، بل تكلم عن الحاجة إلى إجراءات تنظيمية معقدة وعن تجهيز المواقع بمواصفات تتوافق مع المعايير العالمية، وكأننا لسنا أصحاب أسبقية وخبرة في تنظيم مثل هذه المعارض.

وختمت شويطر مداخلتها بالقول إن ما يحدث من تأجيل مستمر لمعرض البحرين للكتاب مقابل التوسع في المعارض المختصة بالأكل مثل مهرجان الطعام ومهرجان القهوة وغيرها من الفعاليات هو بمثابة تجويع للعقول مقابل إشباع وهمي للبطون.

النقابات العمالية: حماية القوة الشرائية واستدامة حقوق العاملين ضرورة وطنية لا تحتمل التأجيل

أكدت النقابات العمالية الموقعة على بيان مشترك، وهي: نقابة عمال جارمكو، النقابة العامة للمضيفين الجويين، النقابة العمالية لشركة ألبا، نقابة عمال دي اتش إل، النقابة العامة للإنشاء والمقاولات والخدمات، ونقابة عمال شركة بابكو للاستكشاف والإنتاج، أهمية حماية الطبقة الوسطى والحفاظ على القوة الشرائية للمواطنين باعتبارهما ضرورة وطنية ملحّة، في ظل ارتفاع تكاليف المعيشة وأسعار الطاقة والخدمات الأساسية، مشددة على ضرورة ترجمة التوجيهات والتصريحات الرسمية إلى سياسات تنفيذية عادلة ومباشرة.

وشددت النقابات على أن الزيادة السنوية وتحسين الأجور حق مكتسب لا يجوز التعامل معه كخيار تقديري أو منحة، مطالبة بضمان صرف الزيادات السنوية المجزية عبر نصوص ملزمة في الموازنات العامة والحسابات الختامية للشركات الحكومية، بما ينعكس على الاستقرار المعيشي للأسر البحرينية.

كما حذّر البيان من تآكل الأجور نتيجة ثبات الرواتب لسنوات طويلة مقابل ارتفاع أسعار المحروقات والكهرباء والماء، داعياً إلى استحداث علاوات عادلة لمواجهة الأعباء المعيشية وضمان عدم المساس بالاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

وطالبت النقابات بفتح ملف رقابي شامل لمراجعة سياسات الأجور والمكافآت في الشركات الكبرى والشركات الحكومية، ومقارنة الأجور الفعلية للموظفين بالأرباح المتحققة وامتيازات الإدارات العليا، مؤكدة أن حجب الزيادات السنوية رغم تحقيق الوفورات والأرباح يمثل إخلالاً بمبادئ العدالة الوظيفية ويستدعي تدخلاً عاجلاً. وأكدت النقابات رفضها لأي سياسات تقشف أو ترشيد إنفاق تُحمّل العامل وحده تبعاتها، مشيرة إلى أن العدالة تقتضي إشراك العامل في ثمار نجاح المؤسسة لا تحميله كلفة الأزمات.

وفي جانب متصل، دعت النقابات إلى اعتبار معالجة البطالة وتوطين الوظائف أولوية وطنية عبر سياسات تشغيل جادة، وتفعيل الالتزامات المتعلقة بـ"بحرنة" الوظائف النوعية في القطاعات الحيوية والشركات الحكومية، بما يحقق التوازن المطلوب في سوق العمل ويعزز الاستقرار المعيشي للأسر.

رفض المحكمة دعوى طعن على تعديل نظام نقابة ألبا وانسحابها من الاتحاد العام

قضت المحكمة الكبرى الإدارية برفض دعوى أقامها أربعة عمال ضد النقابة العمالية لشركة ألبا، طعنوا فيها على قرارات وإجراءات تنظيمية تضمنت تعديل النظام الأساسي للنقابة وقرارها الانسحاب من الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، وذلك لعدم توافر المصلحة القانونية وشروط قبول الدعوى.

وبحسب ما أفاد المحامي منصور اضرابوه، فإن المدعين أقاموا دعواهم ضد النقابة ووزارة العمل والتنمية الاجتماعية، وطالبوا بتجميد عمل مجلس الإدارة لحين الفصل في موضوع الدعوى، وبالحكم ببطلان الإجراءات المتخذة لتعديل النظام الأساسي وما يترتب على ذلك من آثار، إلى جانب إبطال قرار الانسحاب من الاتحاد العام، وإبطال قرار تشكيل مجلس إدارة لمدة أربع سنوات، فضلًا عن طلب حل مجلس إدارة النقابة.

وأوضح المدعون في دعواهم أنهم عمال في الشركة وأعضاء في الجمعية العمومية للنقابة، وأن النقابة كانت منضمة منذ تأسيسها إلى الاتحاد العام، معتبرين أن إجراءات مجلس الإدارة شابتها - وفق ادعائهم - مخالفات وقرارات فردية أضرت بالنقابة وكيانها.

وقد تداولت المحكمة الدعوى في جلساتها، قبل أن تقضي برفضها وإلزام المدعين بالمصروفات، ومبلغ 300 دينار مقابل أتعاب المحاماة.

وقالت المحكمة في حيثيات حكمها إن المصلحة شرط أساسي لقبول الدعوى، وإن المصلحة المبررة لقبول دعوى الإلغاء وإن كانت ذات مفهوم أوسع، إلا أنها تتطلب أن يكون المدعي في مركز قانوني خاص يتأثر بالقرار المطعون فيه، مؤكدة ضرورة توافر ضوابط وشروط محددة لقيام هذه المصلحة حتى تُقبل الدعوى.

نقابة أسري تناقش الزيادة السنوية وملف التقييم والبحرنة

ناقش مجلس إدارة نقابة عمال "أسري" في اجتماع دوري له، عدداً من الملفات العمالية والتنظيمية، وفي مقدمتها سبل الوصول إلى زيادة سنوية مجزية تساهم في تحسين أوضاع العمال.

وتركز النقاش حول آليات صرف الزيادة السنوية بما يضمن حقوق العاملين ويستجيب لاحتياجاتهم، مؤكداً أن الزيادة أصبحت ضرورة في ظل التحديات الاقتصادية وتدني الرواتب.

كما تناول الاجتماع ملف التقييم السنوي (KPI)، حيث استعرضت النقابة الشكاوى الواردة بشأن بعض السلبيات المرتبطة بأسس التقييم والأخطاء البشرية التي قد تطرأ عليه، مع التأكيد على أهمية عدم استخدامه كأداة عقابية تؤثر سلباً على أداء العاملين.

وفي جانب متصل، ناقش المجلس مستجدات البحرنة وتوظيف أبناء الموظفين، مشيداً بتجاوب الإدارة في توظيف عدد منهم، ومؤكداً استمرار التعاون في هذا الملف بوصفه أولوية للمرحلة المقبلة.

واعتمد مجلس الإدارة كذلك برامج وفعاليات النقابة لعام 2026، والتي تركز على تعزيز الأنشطة الاجتماعية والرياضية، والاهتمام بالصحة والسلامة المهنية، إلى جانب دعم قيم التعلم والتدريب والتكاتف والعطاء.

كاريكاتير خالد الهاشمي — نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

منظمة العمل الدولية: 300 مليون عامل في فقر مدقع.. وفجوة واسعة في مشاركة النساء عربياً وخليجياً

حذّر تقرير جديد صادر عن منظمة العمل الدولية بعنوان "العمالة والآفاق الاجتماعية لعام 2026" من استمرار الضغوط على سوق العمل العالمي، مشيراً إلى أن نحو 300 مليون عامل يعيشون في فقر مدقع بدخل يقل عن 3 دولارات يومياً رغم حصولهم على وظائف.

وأوضح التقرير أن معدل البطالة العالمي مرشح للبقاء عند 4.9٪ خلال العام الحالي، بما يعادل نحو 186 مليون شخص، فيما يتوقع أن يبلغ نمو الوظائف 0.5٪ في الدول ذات الدخل المتوسط الأعلى مقابل 3.1٪ في الدول منخفضة الدخل.

وأشار التقرير إلى أن نحو 2.1 مليار شخص سيعملون خلال العام الجاري في القطاع غير الرسمي مع محدودية الحماية الاجتماعية والحقوق العمالية، محذراً من تفاقم التحديات أمام الشباب، خصوصاً في الدول منخفضة الدخل، حيث إن 27.9٪ منهم ليسوا في التعليم أو العمل أو التدريب.

وعلى مستوى المنطقة العربية، سجل التقرير أن معدل البطالة في الدول العربية بلغ عام 2025 نحو 9.5٪ دون تغيير عن 2024، بينما ارتفع عدد العاملين في شمال أفريقيا بمقدار 1.3 مليون بين عامي 2024 و2025 مع استمرار بطالة الشباب.

وفي ما يخص مشاركة النساء في سوق العمل، أفاد التقرير بأن نسبة مشاركة المرأة في اقتصادات دول مجلس التعاون الخليجي بلغت 39.5٪ مقابل 86.7٪ للرجال، فيما اتسعت الفجوة في الدول العربية غير الخليجية لتسجل مشاركة النساء 10.8٪ مقابل 66.1٪ للرجال.

كما أشار التقرير إلى أن دول الخليج تحقق تقدماً سريعاً في استراتيجيات الرقمنة والذكاء الاصطناعي، بينما تتخلف دول عربية أخرى بسبب ضعف البنية التحتية والاستثمار.

حيــن قــالــت النقــابــة كلمتهــا

خلال زيارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى مصنع شركة فورد لصناعة السيارات، اعترضه أحد العمال، توماس سابولا، واصفاً إياه بحامي المتحرشين بالأطفال على خلفية قضية إبستين. ولم يكن رد الرئيس ترامب على هذا الاعتراض سوى إشارة بذيئة، أعقبتها مباشرةً خطوة من إدارة الشركة تمثلت في إيقاف العامل عن العمل بشكل مؤقت. هذا القرار فجّر موجة تضامن شعبي واسعة، تجلّت في حملات تبرع عبر الإنترنت دعماً للعامل الموقوف، حيث جُمعت مئات الآلاف من الدولارات خلال فترة قصيرة، في مؤشر واضح على حجم التعاطف والدعم الشعبي الذي حظي به بعد قرار إيقافه.

فلاح هاشم

غير أن هذا التضامن الشعبي الواسع استند إلى عامل حاسم وأساسي لم ينل حظه الكافي من التغطية الإعلامية، تمثل في موقف نقابة عمال السيارات المتحدة (UAW) التي أعلنت بوضوح دعمها لسابولا، مؤكدة على حق أعضائها في حرية التعبير، ومعربة عن استيائها من موقف إدارة الشركة.

وفّر هذا الموقف النقابي الغطاء القانوني والمعنوي للعامل، ومهّد الطريق أمام اتساع موجة التضامن الشعبي معه، وهنا يبرز الدور الجوهري للنقابات العمالية ومهمتها الأساسية في الدفاع عن حقوق العمال المسجلين لديها في مواجهة القرارات الإدارية المجحفة، كما تتجلى قوة النقابة عندما تحسن توظيف أدوات الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي للوصول إلى أوسع شريحة ممكنة من المجتمع، بما يسهم في بناء دائرة تضامن شعبي واسعة حول قضاياها.

لقد برز هذا الحدث بوصفه قصة نجاح عمالية بامتياز..

أولاً، لأنه انطلق من قيام النقابة بدورها الأساسي المتمثل في الدفاع عن حقوق عمالها دون تردد أو تبرير، وهو الهدف الرئيسي الذي أنشئت من أجله. وقد جاء هذا الموقف في مواجهة رئيس الدولة بكل ما يمتلكه من نفوذ وقوة، وما عُرف عنه من غطرسة وتعسف، دون أن يثني ذلك النقابة عن التمسك بموقفها المبدئي والصلب.

ثانياً، كشف هذا الحادث بشكل جلي جوهر الحقوق المدنية، وفي مقدمتها حرية الرأي والتعبير بوصفها حقاً أصيلاً ومطلقاً، وأساساً للمشاركة الفاعلة سياسياً واجتماعياً، وبما يضمن كرامة المواطن وتحقيق العدالة، وفقاً لما تنص عليه الشرعة الدولية لحقوق الإنسان، كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهدين الدوليين، فضلاً عما تكفله دساتير الدول على المستوى المحلي.

ثالثاً، سلطت الواقعة الضوء على الدور المحوري لمؤسسات المجتمع المدني الفاعلة والقوية باعتبارها إحدى الركائز الأساسية للدولة المدنية الحديثة، إذ تسهم في رفع مستوى الوعي، ومراقبة أداء الأجهزة الرسمية، والمشاركة في صياغة السياسات العامة، وتشجع على المساءلة والمحاسبة بشفافية.

كما تعزز هذه المؤسسات الشراكة بين الحكومة والمجتمع في مواجهة التحديات وتحقيق التنمية الشاملة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؛ فمؤسسات المجتمع المدني تمثل جسراً بين المواطنين والحكومة، وشريكاً أساسياً في بناء مجتمعات قوية، عادلة، ومستدامة، من خلال تفعيل دور المواطن والمؤسسات معاً لتحقيق الرخاء.

ومهما يكن موقفنا من الولايات المتحدة كنظام ودولة وعلى مختلف الصعد، فإن من الواجب التوقف عند هذه الحادثة وما أفرزته من نتائج، والتأمل في أدوار النقابات ومؤسسات المجتمع المدني، ومدى احترام الحقوق المدنية للمواطنين، ومقارنتها بواقعنا الراهن.

وهنا يطرح السؤال نفسه بإلحاح: أين دور منظماتنا النقابية بعد أن جرى العمل على محاصرتها، وإفراغها من قواعدها العمالية، وابتعادها عن هموم ومشاكل الطبقة العاملة؟

ولا يختلف الحال كثيراً في غالبية مؤسسات المجتمع المدني الأخرى، فبرغم الكثرة العددية التي تعلنها الجهات الرسمية، إلا أنها تواجه تحديات كبيرة، من بينها التضييق التشريعي والبيروقراطي، ومحدودية التمويل إن لم نقل انعدامه، الأمر الذي أدى إلى خمول بعضها، وتحول البعض الآخر إلى واجهات شكلية، بدلاً من الاضطلاع بدورها التنموي الحقيقي، على الرغم من أهميتها المحورية في تعزيز التنمية والمشاركة المجتمعية.

بطـــالـــة الأطبـــاء.. إلـــى متـــى؟!

يبدو ان قضية البطالة في صفوف الأطباء ستستمر معنا لفترة ليست بالقصيرة هنا في البحرين، هذه القضية المؤرقة فعلا للخرجين من مختلف كليات الطب سواء المحلية او الخارجية، ومن مختلف الدول، دون استثناء، هي قضية طالما طرحناها مرارا داخل نقاشات مجلس النواب وضمن اسئلة نيابية وفي مساءلات لجان التحقيق التي شكلت على مدى اكثر من فصل تشريعي ولم تتوقف حتى اللحظة، محاولين فيها البحث عن أسباب ومسببات كل هذا الإهمال وعدم الجدية التي لازمت مسألة تشغيل الأطباء بمختلف تفرعات الطب دون مبررات موضوعية، رغم علمنا أنها تأتي ضمن معضلة البطالة الهيكلية بشكلها الأعم، التي أضحت تعاني منها معظم القطاعات الاقتصادية الأخرى، حيث تغيب الحلول كما تغيب الخطط والبرامج المستدامة لمتابعة ملف البطالة الذي هو بالفعل الملف رقم واحد في البحرين، والذي يمثل قلقا حقيقيا على مستوى الشارع البحريني، ولا نعرف متى ستقتنع الجهات المعنية بسوق العمل لدينا هنا في البحرين بالمباشرة في تفعيل المقترحات والحلول التي كثيرا ما قدمها مجلس النواب.

هذا الملف يبقى مؤرقا لكل الخريجين وأسرهم دون استثناء، نظرا لعدة اعتبارات وعقبات لا يمكن إغفالها وفي مقدمتها عدم وجود رؤية واضحة تجاه حله بصورة واضحة ونهائية، رغم كل الجهود والوعود الرسمية، وحتى حسن النوايا وصدقها التي نستشعرها احيانا كثيرة لدى المعنيين عن هذا الملف، خاصة لدى وزارة الصحة والمستشفيات الحكومية.

من بين تلك العقبات التي تؤخر مباشرة حلحلة هذا الملف هو عدم وجود توجه رسمي واضح يقبل بمنطق ان ما يقدم للعاطلين بشكل عام في البحرين من برامج وتوجهات لا يعدو كونه اجتزاءا لمسألة اعقد بكثير مما تتخيله الجهات الرسمية، فالمسألة هنا لا يمكن ان نحقق فيها اختراقا حقيقيا طالما ظلت الأبواب مشرعة أمام استقطاب أطباء من الخارج، ليسوا بالضرورة من الكفاءات او حتى من حملة الشهادات الموثوقة، دون حسيب او رقيب لمؤسسات القطاع الخاص من مستشفيات خاصة وشركات، وقبل ذلك دون ضبط وارادة صارمة داخل جميع المستشفيات الحكومية ذاتها، التي بات عليها ان تقدم النموذج والمثال الفاعل لاستقطاب الأطباء والكفاءات البحرينية وان لازتكتفي بشح الميزانيات وقلة الموارد التي يذهب معظمها لتسديد إمتيازات الأجانب واجورهم!!

باعتقادي ملف تشغيل الأطباء يمكن حله دون ابطاء كما فعلنا معا نحن كمجلس نواب بالتكامل مع الحكومة ازاء تشغيل واستقطاب الممرضين والفنيين البحرينيين، على الرغم من وجود مكامن خلل واضحة في حلحلة ملف الممرضين والفنيين هذا، خاصة بالنسبة للمستشفيات والمراكز الطبية الخاصة، التي هي مؤسسات ربحية بالأساس وتستفيد من التسهيلات المقدمة لها من قبل الدولة دون ان تقدم الحد الأدنى من مساعدة الدولة على الأقل في استيعاب أعداد اكبر من الممرضين والفنيين البحرينيين خاصة من خريجي كلية العلوم الصحية التي مضى على إنشاءها اكثر من أربعين عاما!

لذلك لا يمكن القبول بأن يبقى ملف توظيف الأطباء مراوحا لسنوات دون حلول في انتظار المجهول، او ترك هذا الملف كما يقال دائما لأليات السوق وفتح الأسواق ومسألة العرض والطلب، حيث ان امتهان مهنة كالطب يحتاج كما يعلم الجميع إلى ممارسة المهنة دون انقطاع طويل، فهؤلاء الشباب والشابات البحرينيون هم في الغالب من المتفوقين في دراستهم العلمية واجتهدوا كثيرا لبلوغ طموحاتهم وطموحات أسرهم، التي بذلت الغالي والرخيص لضمان مستقبل افضل لهم وايضاً من اجل الإسهام في تطور المجتمع بالاعتماد على سواعد أبناءه، الذين من المخجل وغير المقبول ان يبقون متسولين للعمل والوظيفة، حتى ان الكثير منهم يقبل مرغماً على العمل دون أجر أو امتيازات مثل بقية زملائهم الذين وجدوا فرصهم في ظل هذا الأجواء غير المواتية لأهمية ومغزى وجود الطبيب المواطن، فيما يقبل الكثير منهم بعناء التدريب وقضاء سنوات الامتياز خارج بلادهم، وحتى من يتدرب منهم في البحرين يبقى معلقا بأمل ضمان حق التوظيف بعد انتهاء فترة التدريب التي تمتد لأربع سنوات.

يحتاج ملف البطالة في صفوف الأطباء إلى اكثر من الكلام المنمق بشأنه والعناوين البراقة، يحتاج إلى قرارات حاسمة وإرادة حقيقية، لا تقبل ان يبقى الطبيب البحريني عاطلا دون عمل او ان يبقى عالة على أسرته وأهله ووطنه، يأكله الخذلان ويقتله الفراغ وحالات الاكتئاب وضياع الأمل، ما يتطلب وقفة جادة من قبل الحكومة والمجتمع للشروع في احترام كرامة ابناء الوطن وإدماجهم في برامج وورش تدريب وتوظيفهم حيث يجب ان يكونوا لخدمة الوطن وازدهاره.

عبد النبي سلمان

سوق العمل بلا قواعد .. والمرونة ذريعة لمراوحة دائمة

قال جورج برنارد شو «إن اللاقاعدة هي القاعدة الذهبية»، وقيل إنّه يقصد، بسخريته المعهودة، كيف تتحول الاستثناءات عند سوء الإدارة، وكيف يُدار الواقع بمنطق التسيّب المغلّف بالحكمة، وكيف نردد نفس الشعارات دون ان نعرف إلى متى نرددها.
وربما من هذه الزاوية بالذات يمكن فهم، أو محاولة فهم، التعامل مع ملفٍ لا نعرف على وجه الدقة كيف نظر إليه مجلس الشورى حين رفض مشروع قانون يقضي بإلزام هيئة تنظيم سوق العمل بتحديد الحد الأقصى للعدد الإجمالي لتصاريح العمل، وهو مشروع محال إليه من مجلس النواب ..!

خليل يوسف

مشروع القانون، وباختصار، يدعو إلى وضع سقف صارم لتصاريح العمل، الحدّ من التضخم فى استقدام العمالة الأجنبية، ومن ظاهرة العمالة العشوائية والعمالة السائبة في محاولة لضبط الاختلالات، وحماية التوازن بين العرض والطلب، وتقديم أولوية فعلية للعمالة الوطنية فى سوق العمل. (الصحف المحلية 15 ديسمبر 2025).

علينا ان نتمعن فى بواعث رفض ذلك المقترح، كما علينا أن نتذكر أن البواعث أو الأسباب طرحت مراراً من قبل بعض المسؤولين في أكثر من مناسبة، ويمكن التذكير بأهمها:

– السقف الصارم "يُكبّل السوق" ، ويتعارض مع نهج الحرية الاقتصادية.
– لا يحقق الهدف المطلوب.
– يقوّض «المرونة التشريعية".
– يعرقل الاستجابة السريعة للمتغيرات الاقتصادية .
– تعزيز فرص العمالة الوطنية يتحقق ببرامج التدريب والتأهيل لا بمجرد تقييد تصاريح العمل.

وهنا تتكثف الأسئلة، أي مرونة هي المقصودة ؟، هل هى تعني غياب الضوابط أم القدرة على التكيّف ضمن إطار واضح وعادل؟! ، ثم هل المرونة تعني ألا يكون لأبناء البحرين أحقيّة فى فرص العمل فى بلدهم؟، وهل نهج الحرية الاقتصادية يسمح بكل التشوهات الحاصلة الآن فى سوق العمل، وتسمح بوجود أعداد كبيرة من الباحثين عن عمل في تخصصات يحتاجها سوق العمل، مثل الطب، الهندسة، تكنولوجيا المعلومات، وغيرها من التخصصات؟

التجربة تقول إن سوق العمل الذي يُدار بلا قواعد محددة لا يصبح أكثر كفاءة، بل أكثر اختلالاً، وأكثر انحيازًا للأقوى على حساب الأضعف، والمفارقة المؤلمة والمذهلة هي أننا لم نجد من يقتلع من طريق هذا الملف العوائق التى تعيق مسار التعاطي معه الذي لا يمكن، ولا يجوز، خاصةً بالنسبة لأولئك الذين ألفناهم من مسؤولين ونواب وهم يجتمعون، يتحاورون، يصرّحون، ويؤكدون التزامهم بإزاحة الحدود الفاصلة بين الفعل والكلام فيما يخصّ ملف "البحرنة"، وإصلاح سوق العمل، والتصدى للإفرازات السلبية التى تناسلت وتكاثرت تتعلق بهذا الملف، ولكن من دون برهنة عن تقدم، او ظهور انفراجات معبرة عن تقدّم جدي واضح للعيان ولأهل البلد والخلان والجيران يثبت أننا فعلا ماضون فى تقدّم جدي ملموس فى هذا الملف برمته وأساسه من دون المراوحات التى ألفناها وتآلفنا معها.

نحن لا نناقش سوقًا افتراضيًا، بل سوقًا يعاني منذ سنوات من اختلال هيكلي وبطالة بأعداد كبيرة لا يستهان بها بين المواطنين، ضغط على الأجور، وتوسّع غير منضبط في تصاريح العمل، ووجود مستفيدين، إن لم يكن "مافيات" يشكلون سبباً رئيسيا فى كل التشوهات الفجّة التى يزخر بها سوق العمل البحريني، من تضخم فى استقدام العمالة الأجنبية، وعمالة أجنبية سائبة، وعشوائية وبأعداد كبيرة.

إذا كان هذا هو نتاج "المرونة القائمة" فما الذي نخشى عليه بالضبط من التقنين؟، ووجود ضوابط تحدّ من مصالح البعض علي حساب الوطن، خاصة فى وجود أعداد كبيرة من أبناء البلد عاطلين عن العمل.

المؤكد، أن القواعد حين ترفض بحجة المرونة، تتحول المرونة نفسها إلى غطاء للتهرّب من الحسم الذى طال انتظاره، وهو الأمر الذي يجعل السؤال الحقيقي: هل نريد سوق عمل يستجيب للاقتصاد فقط؟، أم اقتصادًا يخدم المجتمع أيضًا ويوفر فرص العمل لأبناء البحرين؟

نعود إلى كلام برنارد شو، فهو ليس مجرد إشارة ذكية فحسب، تحمل من المعاني والدلالات، بل تحذير مبكر، حين تصبح "اللاقاعدة" هي القاعدة الذهبية، تفقد التشريعات معناها، وتُدار الملفات بردود الفعل لا بالرؤية، ومن المؤكد أن العمل، بما يمسه من كرامة الناس وأمنهم الوظيفي، واستقرارهم الاجتماعي، لا يحتمل هذا النوع من التجريب المفتوح.

المرونة الحقيقية ياسادة لا تُبنى على الفراغ، بل على قواعد واضحة، تُراجع عند الحاجة، والمصلحة الوطنية، وهذه المصلحة قبل كل شيئ، وجعل البحريني حقاً وفعلاً الخيار الأول وفق سياسات توظيف صارمة وليس شعارات نرددها، دون شفافية، أو مساءلة فى عمليات التوظيف، او دون حسم يضع حداً للمراوحة فى حسم هذا الملف، وحسم هدف يردد على مسامعنا منذ سنوات طويلة حتى اليوم وهو ربط التعليم بسوق العمل.

بقي مهماً القول إن تشكيل لجنة تحقيق نيابية في ملف شواغر التوظيف خطوة مهمة، لكن أهميتها الحقيقية تكمن في السياق المحيط بها، بمعنى إما أن تكون فرصة لكشف الحقائق بالأرقام والوثائق وتصويب كل ما يتعلق بهذا الملف، أو إضافة جديدة لتكرار المكرر من الإخفاقات والمراوحات التى لا أب لها يسأم أو يرحم.

حصـــاد مـــن الـــدفتـــر العتيـــق

مهما بلغنا من تطور في وعينا الثقافي نحتاج إلى الكثير من القراءة المتنوعة والمزيد من الاطلاع في الاستنارة لتطوير مهارات المعرفة واغناء ما تلقيناه من رفاقنا الذين أخذوا بأيدينا لإيصالنا إلى هذا المستوى من تلقي المعارف كي نصنع لمسيرتنا أسساً استراتيجية في بناء مستقبل تعليمي لبناء وطن نعشقه حقاً وتكوين شعب متحضر واع سليم.

وأمام ما يواجهنا اليوم يباغتنا أخطبوط الفساد الذي يقف عائقاً في طريقنا يتصدى لنهضتنا الثقافية والعمرانية والاجتماعية والسياسية، ذلك الفساد الذي يتحتم علينا التصدي له بكل ما أوتينا من قوة بوسائل مبنية على حقائق صدقية التفعيل، إذا أردنا حقاً أن نبني وطن ونبني إنسان يعشق الحرية ويناضل لأجلها وسمو نهضتها.

قاسم الحلال

لقد برزت هيئة الاتحاد الوطني كقيادة وطنية جامعة تناضل ضد الاستعمار البريطاني، من أجل الاستقلال الوطني، حيث كان الحكم الفعلي بقيادة البريطاني (بلجريف)، ومن أبرز قادة الهيئة عبدالعزيز الشملان، إبراهيم محمد حسن فخرو، عبدالرحمن الباكر، إبراهيم بن موسى، عبدعلي العليوات، السيد علي كمال الدين، محسن التاجر، عبدالله بوديب.

لقد استغل المستعمر آنذاك فترة الحرب، فأصدر قراراته الشائنة بالنسبة لأسعار السلع، حيث صار الرز والسكر والطحين يباع بالبطاقة، وقد قام بلجريف بإجراء تعداد للسكان لهذا الغرض، بهدف توزيع المؤن، رغم أن المزارعين نشطوا بتوفير كميات من المحاصيل الزراعية في أسواق المنامة بكثرة وكانت البساتين كثيرة والقرى تزخر بالفلاحين، لكن المستعمر صار يحتكر تجارة الرز كوجبة رئيسية، كما قام بلجريف أيضاً بالتعاون مع بعض التجار الجشعين بتخزين التمر وإخراج القليل منه من أجل رفع سعره.

وبعد فترة أراد بلجريف أن يكسب عطف المواطنين فأمر الشرطة بكسر مخازن التمور مدعياً إن سبب غلاء التمور هو استغلال التجار تخزينها لرفع السعر، حيث استخدم سياسة (العرض والطلب)، وقام بتوزيع السلع التموينية وخصوصاً الرز عبر طريق الحسينيات، حيث اوكل المهمة إلى الحاج حسن بن خميس وعين معه خمسة افراد، وذلك لبيعها على المواطنين بالبطاقة الحكومية، واتضحت الأمور بعد تفجر النفط في (بئر رقم «1»)، حيث صار فرج وبشارة خير للغواصين الذين عانوا من اضطهاد وجشع (النوخذة)، حيث عملوا في شركة نفط البحرين – بابكو في (الجبل)، المنطقة التي تفجر فيها، النفط تاركين وراءهم التغرب وحرمانهم لعوائلهم شهوراً ليبدأوا في معاناة اضطهاد من نوع آخر، رغم أنهم أصبحوا بين أحضان عوائلهم ومجتمعهم، ولكن الاستغلال استمرّ بطريقة أخرى.

***

برزت (المنظمة العمالية) في البحرين في الستينات من القرن الماضي، كمنظمة أثبتت جدارتها في رعاية الطبقة العاملة والدفاع عن حقوقها، حيث تصدت لعسف واضطهاد الشركات الأجنبية وجشع المقاولين الذين يسعون للربح على حساب طبقتنا العاملة، وبهذا الصدد تحققت الكثير من المكاسب والانتصارات رغم القمع، ويرجع ذلك إلى النخبة المتميزة من كوادرنا الوطنية والعمالية في تصديها لأساليب إدارات الشركات التي تتهرب من حوارها مع القيادات العمالية الساعية لوضع حلول شافية عادلة منصفة،ولجوءها، أي الشركات، إلى الاحتماء بالقوى الأمنية كحل، لثني العمال عن مطالبهم، رغم أن كوادرنا العمالية كانت تسعى جاهدة لحوار مستمد من تشريعات وقوانين وأسس منظمة العمل الدولية التي تأسست في العام 1919، التي تعتبر احدى المؤسسات التابعة للأمم المتحدة، وقد أدرجت (المنظمات العمالية) تحت ابرز مادتين هما (المادة رقم 23) القاضية بأن لكل شخص الحق في العمل رجل كان أم امرأة، حيث لها حق في الاجر مثل الرجل شامل كل الحقوق، والمادة الثانية هي (24) عن حق العامل، رجلاً أم امرأة، أن تحدد لهم ساعات العمل الاعتيادية، كما تصرف إليهم الساعات الإضافية حين يكون هناك عمل مضاف، كما تحسب العطلات والإجـازات المرضية وإجازات الوفيات وغيرها.

من هنا تعاني المنظمات العمالية من تنصل الجهات المعنية من مسؤلياتها، عبر التعاون مع المؤسسات النقابية لأجل صيانة حقوق الطبقة العاملة وحمياتها من عسف أرباب العمل الذين يمتصون دم العمال رغم جهودهم الكبيرة في سبيل انعاش الاقتصاد الوطني.

***

من المؤسف أن هناك أطباء يتخرجون من جامعات وكليات مرموقة من داخل وخارج البلاد ولا يجدون عملاً، وما يعانيه اطبائنا اليوم مؤسف، حيث يتخرجون متأبطين شهاداتهم آملين أن إن يكونوا سنداً ودعماً لنهضة وطنهم وبريقاً ينير دربا يبهج أهاليهم الذين ينتظرون انعاش معيشتهم وفخراً بدور أبنائهم في أن يصبحوا ضمن الكادر الطبي الوطني.

ومن هنا ساندتهم بعزم (أطباء بلا حدود)، كما ساندتهم هيئات دولية قانونية وإنسانية ومنظمات المجتمع المدني في الداخل والخارج.

يثير اهمال هذه الشريحة المهمة من أبناء الوطن رغم تعلمهم وتأهلهم، والاعتماد على الأطباء الأجانب علامات استفهام كبيرة، ففي ذلك إساءة للوطن وللكادر المواطن المخلص بالطبع لوطنه وشعبه، ولا يخدم التطور الصحي والتنموي لبلادنا والذي ننشده جميعاً.

الصديقان عباس وعلي

عصمت الموسوي

في العام ١٩٧٢ وعلى مقاعد الثانوية العامة التقى الطالبان عباس الموسوي وعلي كاظم بالصدفة، أطلق علي نكتة فانفجر الطلاب ضحكاً. التفت عباس إلى الخلف ليتعرف على صاحب النكتة الجميلة، وفي أول فسحة، تعرّف كل منهما على الآخر وارتاح لشخصيته. لاحقاً حرّك عباس طاولته من آخر الفصل ولصقها بطاولة صديقه الجديد في المقدّمة، لكن الطاولة التي بدت كتوأم سدّت الممر بل وحالت دون مرور الطلاب والمدرسين من خلاله، اعترض مدرس الفصل وأمره بابعادها، تمّ استدعاء المدير، لكن عباس اصرّ وعاند. فُصل ثلاثة ايام عقاباً على تصرفه، وحين عاد إلى الفصل أعاد طاولته إلى سابق وضعها.

استسلم المدرسون لهذا العناد الذي لم يفهموه ولم يجدوا مبرراً له، ومِن مَن؟ من طالب هادئ ميّال للصمت وذي سجل مدرسي خالٍ من المخالفات. يتذكر طلاب هذا الفصلً إلى اليوم تلك الطاولة التوأم المعيقة للممر والخارجة عن موضعها والتي أعطت للفصل شخصية خاصة وشهرة مميزة. ومنذ ذلك العام بدأت مسيرة الصداقة بين الاثنين، عباس ابن النعيم وكابتن فريق الخلود الرياضي، المفعم بالنشاط والهوايات والمنغمس في مصادقة البحر والصيد والرسم والتصوير، وعلي ابن قرية بوقوة عضو فريق الكشافة ذو المهارات القيادية المبكرة والذي توكل إليه مهمة الإشراف والرقابة على الفصل في غياب المدرس، والموظف بعد الدوام المدرسي في بقالة عمه.

الوقت المشترك هو ما سعى إليه الصديقان المحدثان لاشباع رغبتهما في التلاقي وفي اكتشاف ما يمكن ان يحققانه معاً خارج التزاماتهما المدرسية، وتحويل تلك الصدفة العابرة إلى قرارغير خاضع للصدفة بل خاضع للإرادة والاصرار والتصميم واجتياز التحديات والمعوقات لتمكين هذه الصداقة الطرية وانضاجها والعمل على استدامتها. مع نهاية العام المدرسي تبيّن رسوب أغلب طلاب الفصل، لكن علي وعباس نجحا.

في البداية التحق الثنائي بمعهد المعلمين ثم اتجها إلى دراسة الفنون الجميلة في جامعة حلوان بالزمالك، في عزّ تدفق البعثات والمنح الدراسية، حصل عباس على بعثة بترشيح من الراحل الفنان احمد باقر خريج السوربون الذي سعى لدى صديقه راشد صلبيخ رئيس قسم البعثات لتضمين الفنون الجميلة ضمن البعثات الكثيرة والمتنوعة في تلك المرحلة، عاكستهما الظروف مجدداً إذ حصل علي على بعثة لدراسة المسرح، لكنهما وبنضال شاق وتوسط من هنا وهناك حولاها لاحقاً إلى كلية الفنون الجميلة.

من شقة القاهرة في حي المهندسين انطلق النجمان إلى مرحلة الاعتماد على النفس وبناء الذات والتجلي الاجتماعي والابداع الفني. كلاهما كان مغرماً بالرسم والتصوير والموسيقى وارتياد المتاحف والسينما والمسرح وقد وجدا في القاهرة ضالتهما، تحوّلت الشقة إلى مضيف دائم للطلاب والضيوف والسياح من الأهل والاصدقاء والمعارف، هنا مرّ الفنانون: الراحل عبدالاله عرب، يوسف الكوهجي، اسحاق الكوهجي، وحيد الخان، أحمد باقر، شفيق خلف، إبراهيم البوري، محمد ميرزا، فريد بوقيس، سعيد رضي، جمال السيد، خاتون الانصاري واخرون أبدعوا رسماً ونحتاً وموسيقى تردد صداها في شارع النخيل بحي المهندسين.

منحتهما دراسة الفنون متسعاً من الوقت لم يكن متاحاً لأقرانهم من طلاب الطب والهندسة والدراسات الأخرى، فتفرغا لممارسة شتى الهوايات والتنقل بين ربوع مصر وسبر أغوارها واكتشاف قراها ومدنها البعيدة، وثقا كل ذلك بالتصوير الفوتوغرافي وبأفلام الفيديو التي رفعها الفنان الموسوي على منصته الالكترونية.

يُنقل عن بعض طلبة القاهرة قولهم «إن عباس وعلي كانا أسعد طالبين بحرينيين في مصر»، وفي كل عام كانت الشقة تحمل اسمها جديداً، شقة الفرح والمرح والصخب وصحبة الأصدقاء والفن والموسيقى وحفلات رأس السنة ومشاريع هندسة الديكور، كانت الشقة تتجدد سنوياً بالأثاث واللوحات الفنية والوجوه والشخصيات الجديدة. اعتنى علي بالمطبخ. قام بتدريب جميع العاملات اللاتي مررن على هذه الشقة على طهي الطبخ البحريني التقليدي وذلك لملاقاة الاصدقاء الدائمين والضيوف الذين يتوافدون على الشقة باستمرار من مصر ومن خارجها. هنا لا وقت للملل والرتابة والضجر.

هنا ربما في هذا الزمان وهذا المكان أو قبلها أيقن الصديقان أنّ كل منهما قد وجد ضالته ومبتغاه. كلاهما أدرك بحسه الفطري الغريزي أنّ الآخر ليس مجرد صديق بل كنز متجدد جدير بالحفظ والصون والرعاية، هذا الاحساس الدفين بأنّ المرء يرافق كنزاً هو الذي أطال في عمر صداقتها ومنحها الاستدامة في وقتٍ يشهد فيه العالم قصر وانقضاء العلاقات والشراكات على اختلافها، «عصر السيولة» كما يسميه عالم الاجتماع زيجمونت باومان، حيث كل شيْ غير ثابت وسريع الزوال والتحوّل، لكن السيولة لم تطل علاقة عباس وعلي الملهمة والمنتجة، فكلاهما متغيّر ومتجدد، ويجد في الاخـر اضافة نوعية وداعماً، وكل تغيير يعتريهما يلقى استجابة وترحيباً من الآخر.

لم يكن الرفيقان متشابهين ومتطابقين كما قد يعتقد البعض، فلكل منهما شخصيته المستقلة، وأحياناً كاناعلى جانبٍ كبير من عدم التوافق، لكن عن قرب إذا جلسا وتحدّثا تجدهما في غاية التطابق والتوافق ويعزفان نغمةً واحـدة، ولعل ابـرز ما يميزهما تلك الشخصية القيادية والجريئة والمبدعة والمرنة والمرحة والمواكبة للزمن والتي على استعداد دائم وفي كل لحظة لخوض غمار الصعاب واختبار كلّ ما هو جديد والذهاب أبعد من المألوف والمعتاد واقتناص فرص الحياة المتاحة الماثلة امامهما والمتوارية بعيداً .

أنتج علي وعباس مسرحيتين شاركا بهما في حفل الاتحاد الوطني لطلبة البحرين السنوي عام 1973 -1974. عباس كتب النصين المستمدين من قصص بحرينية واقعية، تدربا عليها طويلاً في الشقة. الممثلون والمخرجون كانوا كلهم من الطلاب والاصدقاء الدائمين، والمنتمين لكليات وتخصصات أكاديمية عديدة. أبدع الصديقان في إضافة نكهتهما الفكاهية المميزة، ولعلّ الضحك والمرح وخفّة الظل التي رافقت التدريب تبدو ولغاية اليوم حين يتذكرها شهود المرحلة مثيرة وحاضرة في الاذهان وعصية على النسيان .

في العام 1977 قرر الصديقان الذهاب في رحلة تخييم إلى اوروبا بالسيارة وتجربة العيش وسط الجبال والحقول والمتنزهات والأنهار مع المخيمين رفقة صديقهما المشترك عبدالاله المعلم، شحنا سيارتهما الخاصة براً ثم بحراً وانطلقا في مغامرة غير مسبوقة في ذلك الزمان، حيث التجوال في مدن أوروبـا نهاراً والنوم في الخيام ليلاً، ومن هناك بدأت واحدة من أكبر مغامراتهما وأكثرها مشقةّ؛ إذ أوقفتهما شرطة حدود سوسرا بعد أن شكّت في أنّ البهارات التي كانا يحملاتها معهما نوع من المخدرات. اقتيدا إلى التحقيق والسجن، انتظرا يومين قبل إخلاء سبيلهما وتبرئة ساحتهيما. نشر عباس القصة في جريدة «اخبار الخليج» بعد عودته تحت عنوان: «العذاب على ابواب سويسرا».

كان الأصدقاء يتساءلون مـاذا سيفعل عباس وعلي بعد انقضاء الدراسة وعودتهما، منفردين، إلى بيتيهما، حيث لا طاولة توأم ولا شقة مشتركة؟، ماذا سيفعل الصديقان بعد انقضاء سنوات الجنة؟ هل سيفترقان ويركن كلاهما إلى حياة الهدوء والدعة والاستسلام لدواعي العمر ورتابة الوظيفة ومتطلبات العائلة؟

بعد التخرج انطلق الصديقان كالصاروخ مع الفن، ومن النظرية إلى التطبيق والبداية مع تأسيس جمعية البحرين للفنون التشكيلية التي كانت فضاءً جامعاً لكل الفنانين البحرينين وقتها قبل أن يؤسس الفنانون مراسمهم الخاصة لاحقاً، هنا قضى الصديقان أجمل سنواتهما البكر كخريجين جديدين يملؤهما الحماس والرغبة في التجديد والإبداع، وفي إقامة المعارض الفنية، وعبر الجمعية أسس عباس بالتعاون مع الفنان الراحل حسين علي نادي التصوير الذي كان هو الآخر فاتحة خير وبركة لإبراز مواهب المصورين البحرينين الذين أبدعوا وحصدوا الجوائز في معارض ومؤتمرات الاتحاد الدولي لفن التصوير الفوتوغرافي التصوير فياب flab.

في الثمانينات تـزوّج الصديقان اختين، صار الصديق عديلاً للاخر. اسسا أسرتيهما. ابتعدت الطاولة التوأم قليلاً مع ابتعاد البيتين جغرافياً، لكن العلاقة توطدت أكثر مع القرب والانصهار العائلي، وعلى صعيد المهنة والكسب اليومي لم يطق الصديقان الوظيفة الثابتة والعبودية المختارة، بدت ضيقة جداً على أحلامهما وطموحاتهما. وجد الصدقان أنّ العمل الحرّ المستقل أقرب إلى شخصيتيهما العصامية المبتكرة المبدعة رغم ما قد يكتنفها من مخاطر وعدم استقرار.

أسسا معاً مشاريع تجارية عديدة ذات ارتباط بدراستهما كهندسة الديكور والفنون، عباس يخطط وعلي يفكر تجارياً، بعضها حقق نجاحاً لافتاً ومتميزاً، وبعضها ترنّح بعد فترة وجيزة. لم يثنهما الإخفاق عن إعادة المحاولة والتجربة في مجالات أخرى. تمتع الصديقان بشخصية لا تهتم بالخسارة المالية كثيراً. كان هاجس المغامرة والتجريب يغلب على طبعهما، ثم أنّ الزمن كان يبدو واعداً ومنسجماً وملائماً لأفكار وخيال الصديقين، وكانت البحرين وقتها تشهد نمواً وانتعاشا اقتصاديا تجلى في الثمانينات والتسعينات وهو ما كان يغري بتكرار المحاولة.

في العام 1989 يغادر علي مع أسرته إلى عُمان لعدة سنوات للتجارة، لتكون أطول فترة زمنية في عمر علاقتهما تبتعد فيها الطاولة التوأم وتغادر مكانها، ولحسن حظهما أنّ غربة علي لم تدم طويلاً. عباس كبر فنياً وانطلق مع مشروع السلام بعد الحرب على العراق عام 1993، وهو مشروع كبير ومكلف مادياً وبدنياً ويتطلب التنظيم والمتابعة والسفر الدائم، وكان علي على موعدٍ مع نمو وصعود تجارته الجديدة. استعان عباس بالعديل الثالث والصديق غازي المرزوق الذي شكّل قطباً ثالثاً في صداقتهما المديدة، وفي كلّ مشاريع عباس الفنية سواء داخل البحرين أو خارجها كان علي حاضراً قبل غيره، يستقبل الضيوف. إذا تأخر عباس فعلي موجود ينوب عنه، ويطمئنه أنّ كل شي على ما يرام.

تعرّف عباس على عالم التجارة والبزنس وارتياد المعارض التجارية العالمية مع علي الذي برز نجمه وخـطّ اسمه كرجل أعـمـال في مجـال المجوهرات، المقاولات لاحقاً، هذا عالم غير مألوف للفنان لكنّه شكّل إضافة مهمة أغنت مسيرته الفنية. في خريف عمريهما أبدعا في إقامة أجمل الحدائق المنزلية، أغرم علي بالزراعة التي كانت تشكّل جزءاً من ماضيه وقريته وحياته وسط الحقول والنخيل، ونال عباس جائزة أجمل حديقة فنية في البحرين.

هل انعكست علاقتهما الجميلة إيجاباً على الآخرين، العائلة، الأهل، المعارف؟

الحق يقال، كان الصديقان نعمة وبركة على الجميع ومصدر سعادة وكـرم وعطاء وفـرح في محيطهما العائلي الخاص والاجتماعي العام، رفقتهما بهجة، ومصاحبتهما في السفر متعة، إذا حضرا ملأا المكان ضحكاً وقصصاً وتجارب حياتية معاشة حتى لتبدو كالأفلام والروايات الشيّقة لفرط ما تتضمنه من مفارقات وعجائب، وفي تفاصيلها الصغيرة يتبيّن كم خاطر الإثنان بأموالهما وبحياتهما في مواضع كثيرة، وكم خرجا من هذه المواقف الصعبة، المهلكة في بعضها، بأعجوبة وبإصرار على خوض غمار تجارب جديدة، كأنّ القدر كان يمهلهما في كل مرة كي يمنحهما مزيداً من التحقق والتفتح والتألق.

قد كان كلّ منهما فناناً بطبعه الأصيل، والفنان كما يقول المفكر اوسكار وايلد هو: "خالق الاشياء الجميلة". في هذا العمر لا ترى أحدهما إلا وهو في أبهى أناقته وأرقّ مزاجه وكأنّه متوجه إلى سهرة.

في صيف العام الماضي احتفل على بعيد ميلاده السبعين، ترافق وجودهما معاً مع عائلتيهما في أحد مصايف أووربا. لم يجد عباس ما يهديه لرفيق العمر سوى لوحة فنيّة تشكيلية تُمثل مسيرة صداقتهما الممتدة على مدى 50 عاماً.

عباس وعلي حكاية بحرينية جديرة بأن تعرف وتروى وتوثق. سيرة لم أذكر منها إلا القليل، وأعلم أنّ كل من ركب قطار هذين الصديقين عاد محملاً بالذكريات والحكايات الجميلة والملهمة.

مجيد مــرهــون .. الحـاضــر الغـائــب

تمرّ في هذا الشهر، فبراير/ شباط، الذكرى السادسة عشرة على رحيل المناضل الوطني والموسيقار العبقري الكبير مجيد مرهون، والذي رحل عن عالمنا في الثالث والعشرين من الشهر نفسه عام ٢٠١٠، وعلى الرغم أنه رحل بجسده إلا أنه مازال باقياً بمآثره النضالية والفنية ومناقبه وخصاله الإنسانية العظيمة. ولعله من المصادفات التي لا تخلو من دلالة أن يغادر مرهون دنيانا بعد أيام قلائل من نفس الشهر الذي تأسس في منتصفه حزب «جبهة التحرير الوطني» البحرينية الذي انتمى إليه حيث تأسس في ١٥ فبراير/ شباط ١٩٥٥.

رضي السمّاك

كان أول عهدي برؤية مرهون في الصور المطبوعة له في البوسترات والأدبيات الصادرة عن حزبه خلال سني المراهقة الدراسية الجامعية، أما المرة الأولى التي شاهدته عيانياً فكانت خلال فترة اعتقالي في سجن القلعة بالمنامة، حيث كنتُ ومجموعة من الرفاق المعتقلين الذين سبقوني إلى هذا المعتقل قد تعودنا أن نحييه بأيدينا أثناء إحضاره من سجن «جو» لحضور زيارة أهله في معتقلنا، إذ كان يطلّ من بعيد من الممر العرضي للعنبر الذي يقع فيه مكتب شرطي المناوبة، وكان يُحيينا بدوره مبتسماً ومرحباً بمعنوياته الجبارة المعتادة، وحيث استمرت زياراته تتكرر على هذا المنوال: هو يُحيينا ونحن نحييه.

وبعد الإفراج عنه عام 1990، شاهدتهُ للمرة الأولى أوائل التسعينيات، فيما كان يزاول مهنته كمشرفٍ على عمال حفر المجاري، أو خدمات الكهرباء في فريق الزرّاع بجدحفص حيث كنت حينئذ أقطن في شقة صغيرة مع عائلتي في هذا الحي، ثم توطدت علاقتي معه خلال الفعاليات التي يقيمها له المنبر التقدمي وغيرها.

وكانت آخر مرة التقيت فيها مرهون في زيارة لي إلى بيته، قبل مرضه الأخير الذي أودى بحياته، وكان ذلك قبل وفاته بنحو عامين، وحيث قصدت أن يكون يوم زيارتي ذا دلالة في 15 فبراير/ شباط. وكان أن أهداني صورة كبيرة له بالأسود والأبيض وهو يعزف على آلته المشهورة التي أختص بها «الساكسفون»، والتي مازلت احتفظ بها معلقةً على أعلى سقف رف من رفوف مكتبتي المنزلية، لكنني وقبل أن أضعها في برواز طلبت من الزميل والصديق الفنان الخطّاط أحمد عبد الله سرحان (أبو عباس)، أن يخط بخطه الجميل اسم مناضلنا وفناننا الكبير مجيد مرهون وتاريخ الإهداء، واسم الخطّاط نفسه، أحمد سرحان.

لقد تعوّدنا كمناضلين في «جتوب» أن نشير إلى موسيقارنا ومناضلنا الكبير مرهون بالبنان، ونعدد مآثره ومناقبه الفنية والنضالية، لكن أن تأتي شهادة عنه من رفيق سجن عايشه طوال 16 عاماً فهذه لعمري لها مغزى خاص لا بد في تقديري أن تُدّون وتنشر للتاريخ، ولطالما تحدث لي من خلال زمالتي معه في صحيفة «أخبار الخليج»، وكنت قد طلبتُ من أن يخط ببراعه توثيق صورة مجيد مرهون، وأن يُلخص لي كتابةً عن كل ما حدثني من مناقبه وخصاله الإنسانية فأرسل لي في سطور مكثفة مطبوعة هذه الشهادة التي أعيد نشرها هنا بعد تفضله بالموافقة على نشرها في نشرة «التقدمي».

لقد اعتدنا كمناضلين في «جتوب» أن نشير إلى موسيقارنا ومناضلنا الكبير مجيد مرهون بالبنان ونعدد مآثره الفنية والنضالية

الأخ العزيز الأستاذ رضي السماك المحترم

مقتطفات من حياة الموسيقار عبد المجيد عبد الحميد مرهون

– ولد الموسيقار سنة ١٩٤٥م بمنطقة الحورة من المنامة ، ونشأ من أبوين فقيرين .
– عانى كثيراً من الفقر لكنه تميز بصبره وقوة مثابرته .
– لم يكمل دراسته الإعدادية بسبب ظروفه الصعبة وانتقل بعد الإبتدائية إلى بابكو للعمل والتحق بمدرستها للتدريب ومن ثم العمل .
– عشق الموسيقى منذ صغره وعرف بموهبته منذ صغره حيث قام بتلحين مونولوج لإحدى مسرحيات الأطفال وهو لم يتجاوز العاشرة بعد .
–عصامي تعلم العزف معتمداً على حاسة سمعه بآلة الهارمونيكا الموسيقية ويكتاب اشتراه لهذا الغرض.
– أصيب بمرض سل العظام وفقد بعضاً من سمعه قبل دخوله السجن وفقده كاملاً بعد دخوله السجن وهذه إحدى معاناته.
– شغوف بالقراءة وبالذات بالرواية العالمية وأقطابها كجورج حنا ومكسيم جوركي.
–ولع بالموسيقى وبالإستماع إلى الموسيقيين الكبار كأمثال هايدن وموتسارت واتخذ الموسيقار بتهوفن مثلاً أعلى له في الموسيقى ، فكان بينه وبين هذا الموسيقار قواسم مشتركة كالفقر والصمم .
– هو أول بحريني يقتني آلة السكسفون ويجيد العزف عليها منذ عام ١٩٦١م واشتهر بهذه الآله حتى عرف بـ « مجيد سكسفون » وفي سني الستينيات له دور فاعل بالعزف الحزين في مواكب العزاء .
–انضم إلى أسرة هواة الفن أواخر ١٩٦٣م وبعد ستة أشهر تركها وأسس مع صحبه فرقة الأنوار الموسيقية.
– عرف السياسة فكان فارسها ، ونبغ في فن الموسيقى فكان يقول عن نفسه : « أنني فناناً قبل أن أكون سياسياً ، ولي الفخر في ذلك فليس من الضروري أن يكون السياسي فناناً ولكن من الممكن أن يكون الفنان سياسياً حيث السياسة سلوك مكتسب والفن موهبة متأصلة .
–صاحب العملية البطولية ضد رجال الإستعمار البريطاني عام ١٩٦٦م الذي حكم على خلفيتها بالسجن المؤبد عام ١٩٦٩م ، وفي السجن درس الموسيقى ودرّسها وألف فيها الكثير ، فأعجب بخلقه وأدبه وفنه السجين والسجان .
–كنز من التجارب الحياتية تعلمت منه الكثير من صنوف الحكمة فهو أستاذنا جميعاً ، شجعني في الفن ووقف بجانبي وقت الشدة وحتى زوال المحنة ، وفي عشقي للخط العربي كان السبب لي في شحذ الهمة وقوة العزيمة.
– له مؤلفات في الموسيقى منها: «جزيرة الأحلام » و«ذكريات» و«أغنية الراحلين» و «حبيبتي» و«حرقة قلب» التي ألفها بعد وفاة أمه وهو قابع في السجن وله سيمفونيتان الأولى : « دعوة إلى الفرح» بنوته (دي ماينور) والثانية بنوته (إي فلات مايجور) ، ومن أهم مؤلفاته قاموس الموسيقى الحديثة من تسعة أجزاء بدأه في السجن عام ١٩٧٥م وأنهاه عام ٢٠٠٢م خارج السجن وبإنجازه لهذا العمل يكون الأستاذ أول بحريني يحقق هذا السفر العظيم ليصبح بيننا المؤلف والمؤلَّف الأسطورة .

أخوك/ أحمد عبدالله سرحان
٢٠٠٨/٣/٣١م

شهادة أحمد سرحان عن مجيد مرهون الإنسان والمناضل

ردًا على «الثقافة بوصفها مشروعاً مؤجلاً»

في معرض ردي على الأخ عيسى الدرازي والذي طرح عبر عموده (فضفضة / مقالة سريعة ومكثفة بعنوان: «الثقافة بوصفها مشروعًا مؤجلًا»، في نشرة التقدمي العدد ٢١٨ / يناير ٢٠٢٦)، فإنني من منطلق الاهتمام والمتابعة كقارىء يراقب أداء الساحة الثقافية، بداية أشد على يد الزميل عيسى فيما تفضل به من وقفته الطيبة نصرة للثقافة في زمنٍ صعب، وهو ما أثار بداخلي حقيقة شهية الرد كمداخلة متواضعة مني علها تثري الموضوع الأساس فأقول:

أحمد المؤذن

الثقافة اليوم على صعيد ساحتنا المحلية، جزء كبير من خطابها الإعلامي والفعلي على الأرض أضحى في حراكه موسمياً يسير ضمن مساحات محدودة تتقلص أكثر فأكثر كل عام عن الذي سبقه، فالأداء العام لساحتنا الثقافية وكيف بدأ يتراجع زخم الأعوام الماضية التي أكتظّت بالنشاط والفعاليات النوعية، حيث تفاعلنا في اتصالنا مع العالم من حولنا، كنا نعمل على عرض أفلام سينمائية عالمية من خلال تفعيل قاعات متحف البحرين الوطني، ولدينا صحافة ثقافية راسخة الجذور من وزارة الإعلام تمثلت في مجلة "هنا البحرين" التي توقف فجأة قلبها النابض وها تتبعها مجلة البحرين الثقافية التي يقترب منها ذات المصير، بعدما تم ايقافها ورقيًا وتحولت إلكترونية تحوم في الواقع الافتراضي.

أصاب الزميل عيسى حين نبهنا إلى «أن الثقافة لا ينبغي أن تكون مشروعًا مؤجلًا وأن الثقافة هي المدرسة التي يتعلم فيها الناس كيف يختلفون دون أن يُقصوا أحدًا . إنها الامتحان الحقيقي لمدى نضج المجتمعات، لأن الإبداع لا يعيش في ظل الخوف، ولا يثمر في مناخ الإقصاء" .

واقعنا اليوم في تراجع ذي صبغة تقشفية ونحن نبحث هنا اشكالية الثقافة فمن الأمور البالغة الأهمية والتي لم يُكترث بها في الآونة الأخيرة، وجديرٌ بالذكر طرحها بلا تردد أو السكوت عنها، بأن أدوات الثقافة في ساحتنا المحلية تتآكل في صمت مريب وتعال أحسب معي النتائج على الأرض والتي تمثلت في التالي:

* توقف أغلب ملاحق الثقافة في صحفنا المحلية.
* تقلص المكتبات التجارية في السوق والتي كانت توفر الكتاب العربي للقارىء والانصراف عن دعم الناشر المحلي لتطوير صناعة الكتاب والنشر.
* توقف عرسنا الثقافي الأجمل " معرض البحرين الدولي للكتاب " من حوالي خمس سنوات أو أكثر وهو ما أدى إلى عزل ساحتنا الثقافية عن محيطها الخليجي والعربي.
* ركود التوجه الرسمي في دعم نشاط الكاتب المحلي بسبب اجراءات التقشف الحكومية.
* تشدد " إدارة الرقابة " في وزارة الإعلام على نتاج الكاتب البحريني في المبالغة بمراقبة كل حرفٍ يُكتب والتوجس من كل كتاب يُطبع خارج البلد ويبحث عن تصريح بحرية التداول.
* توقف الكثير من المجلات المحلية عن الصدور بما ينعكس سلبًا على تطور الصحافة المحلية وخسارة رصيدها الحضاري كمكتسب وطني.
* توقف وغياب جائزة التميز الأدبية التي كانت ترعاها وزارة الإعلام والموجهة للكاتب المحلي، وعدم تطويرها بما يخدم الحراك الثقافي البحريني وحرمان الكاتب من حقه في التقدير وسط مجتمعه.

جُل هذه الأمور تركت ندوبًا غائرة على جسد الثقافة في البحرين حيث يتفاقم أثرها ويتسع بصمت حتى دونما تحرك فعلي يستشعر الخطر من قبل مؤسسات أدبية عريقة، فعن أي ثقافة هنا نتحدث، دول مجلس التعاون الخليجي شرعت في ضخ المزيد من الأموال لتطوير ساحاتها الثقافية ابتغاء استثمار قواها الناعمة فظهرت على خارطتها البرامجية أعراس ثقافية ومؤتمرات ومعارض كتب متخصصة وفضائيات للثقافة وتأسيس جوائز أدبية وملتقيات ..إلخ من دنيا الثقافة بينما نحن بتنا محصورين في صالونات ثقافية مغلقة ندفع بنشاطنا الثقافي المتواضع فلا يجد مؤسسات داعمة تؤدي ما عليها من مسؤولية اجتماعية ولا حتى الجمهور العام يقترب منا وخطابنا الثقافي نقدمه لمقاعد فارغة!

الثقافة في البحرين متعبة بمشاكلها وتحتاج خطة عمل استراتيجية تقف على أكثر مفاصلها حيوية وأهمية للارتقاء بأدائها الحضاري العام وبالفاعلين ضمن أروقتها، تعبنا ونحن نثير النقاش وننتقد الوضع الراهن بلا جدوى، الثقافة في ميزان الدول أضحت قوة ناعمة تحرك الاقتصاد والتنمية وتستثمر الطاقات البشرية، ولسنا نقول ذلك ابتغاء التقليل من منجزاتنا الثقافية الوطنية، لكن أيما دولة لما تتأخر عن تطوير بنيتها الثقافية وتبقى معتمدة على سردية الماضي، مع مرور الوقت بدون تطوير رصيدها التنموي الراهن، ستجد نفسها في نهاية المطاف في ذيل القائمة، فهذه هي سنة الحياة الحياة "لا تقبل الفراغ " حيث هناك دائمًا لاعب جديد يقتحم الساحة كيما يشعل المنافسة.

بالمعنى .. أنت إن لم تطور من نفسك وتواكب الزمن تتراجع بك الظروف وتغادر منصة الظهور ليخفت بريقك، ليت ساحتنا الثقافية البحرينية تعي حساسية الظروف الراهنة لتعيد بريقنا السابق وتطلق برامج جديدة كاجراءات طارئة لتدارك ماخلفته الأعوام الماضية وهذا لا يمكن أن يتم من دون إشراك الكتاب والمثقفين والمسرحيين وكل من لهم علاقة بالميدان الثقافي، مهم الآن جمع كل هذه الجهود تحت خيمة واحدة في مؤتمر وطني يوفر منصة رائدة للحوار كبداية للاعتراف بالمشكلة ثم تشخيصها بشكل دقيق والبدء في رصد الحلول الناجعة لها وإن تعذر هذا الأمر سنستمر في التراجع وسنخسر الكثير من رصيدنا الحضاري كمكتسبات ثقافية وأجواء المنافسة من حولنا قطعًا لا تنتظر من يتبع سياسة التأجيل أو اجراءات التقشف .

مُقدّمة كتاب: «الرِبح على حساب الناس»

للكاتب والمفكر نعوم تشومسكي (١- ٢)

الليبرالية الجديدة the Neoliberalism هي النموذج الإقتصادي السياسي المُحدد لِعصرنا، وهي تُشيرُ إلى السياسات والعمليات التي تُتيح لِقِلةٌ قليلة من المصالح الخاصة السيطرة على أكبر قدر مُمكن من الحياة الإجتماعية لتحقيق أقصى قدر ممكن من الرِبح الشخصي.

أرتبطت الليبرالية الجديدة في البداية بالرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغان Ronald Reagan، ورئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارغريت ثاتشر Margaret Thatcher، وعلى مدى العقدين الماضيين أصبحت الليبرالية الجديدة الأتجاه الأقتصادي السياسي العالمي السائد الذي تبنتهُ أحزاب الوسط وجزء كبير من اليسار التقليدي، فضلاً عن اليمين .

تُمثّل هذه الأحزاب والسياسات التي تُطبِقُها المصالح المُباشِرة لِمُستثمرين أثرياء للغاية وأقلَ من ألف شركة كبيرة.

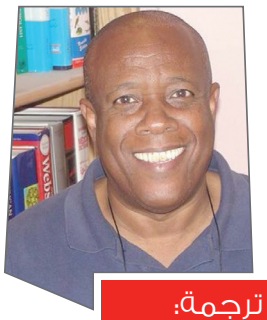

ترجمة:
غريب عوض

بقلم: محرر مجلة
Robert W. McChesney

بإستثناء بعض الأكاديميين وأعضاء مجتمع الأعمال، فإن مُصطلح Neoliberalism الليبرالية الجديدة غيرُ معروف إلى حدٌ كبير وغيرَ مُستخدم من قِبَل عامة الناس، وخاصة في الولايات المتحدة. على العكس من ذلك، تُوصف مبادرات الليبرالية الجديدة هُناك بأنها سياسات سوق حُرة تُشجّع المشاريع الخاصة واختيارات المُستهلكين، وتُكافئ المسؤولية الشخصية والمُبادرة الريادية، وتُقوض يد الحكومة غير الكفؤة والبيروقراطية الطُفيلية التي لا يمكنها فعل الخير أبداً حتى لوكانت نواياها حسنة، وهو أمرٌ نادراً ما يكون كذلك. لقد أضفى جيلٌ من جهود العلاقات العامة، المُموّلة من الشركات، على هذه المُصطلحات والأفكار هالة شِبه مُقدسة؛ ونتيجة لذلك ، نادِراً ما تتطلب إدعاءاتها دفاعاً، وتستشهد بها لتبرير أيُ شيء ، بدءاً من خفض الضرائب على الأثرياء وإلغاء اللوائح البيئية وصولاً إلى تفكيك التعليم العام وبرامج الرِعاية الإجتماعية. في الواقع، يُصبح أي نشاط قد يتعارض مع هيمنة الشركات على المجتمع موضع شك تلقائياً لأنهُ سيتعارض مع آليات السوق الحُرة ، الي تُقَدَم على أنها الموزع الوحيد العقلاني والعادل والديمقراطي للسلع والخدمات. في أكثر حالاتهم بلاغة ، يبدو أن أنصار الليبرالية الجديدة يقدمون للفقراء والبيئة وكل شخص آخر خِدمةٌ هائلة من خلال سن سياسات نيابة عن قِلة من الأثرياء.

لقد كانت العواقب الأقتصادية لهذه السياسات هي نفسها في كل مكان تقريباً، وهي بالضبط ما قد يتوقعهُ المرء: زيادة هائلة في التفاوت الإجتماعي والإقتصادي، وزيادة ملحوظة في الحرمان الشديد لأفقر دول وشعوب العالم، وبيئة عالمية كارثية، وأقتصاد عالمي غير مُستقر، ومكسب غير مسبوق للأثرياء. في مواجهة هذه الحقائق، يزعم المُدافعون عن نظام الليبرالية الجديدة بأن غنائم الحياة الطيبة سوف تنتشر حتماً إلى الغالبية العُظمى من السكان – طالما لم يتم التدخُل في سياسات الليبرالية الجديدة التي تؤدي إلى تفاقم هذه المشاكل!

وفي نهاية المطاف فإن الليبراليون الجُدُد، لا هم يستطيعون ولا هم يريدون أن يُقدموا دفاعاً تجريبياً عن العالم الذي هُم يصنعونه. وعلى العكس من ذلك، لا يقدمون ولا يطلبون إيماناً دينياً بِعصمة السوق غير المُنظمة، إيماناً يستند إلى نظريات القَرن التاسع عشر التي لا ترتبط كثيراً بالعالم الفعلي. لكنَ الورقة الرابحة النهائية للمدافعين عن الليبرالية الجديدة هي أنهُ لا يوجد بديل. يُعلن الليبراليون الجُدُد أن المجتمعات الشيوعية، والديمقراطيات الأجتماعية، وحتى دول الرفاه الإجتماعي المتواضعة كالولايات المتحدة الأمريكية، قد فشلت جميعها، وقد تَقَبّلَ مواطنوها الليبرالية الجديدة باعتبارها المسار الوحيد المُمكن. قد تكون ناقِصة، لكنها النظام الإقتصادي الوحيد المُمكن.

وفي أوائل القرن العشرين، وصف بعض النُقاد الفاشية بأنها "رأسمالية بلاقفازات"، أي أنها كانت رأسمالية خالصة بلا حقوق أو مُنظمات ديمقراطية. في الواقع، نعلم إن الفاشية أكثر تعقيداً من ذلك بكثير. أما الليبرالية الجديدة، فهي في الواقع "رأسمالية بلاقفازات". إنها تُمثل حقبة أصبحت فيها قوى الأعمال أقوى وأكثر عدوانية، وتواجه مُعارضة أقلُ تنظيماً من أي وقت مضى. في هذا المناخ السياسي، تُحاول هذه القوى ترسيخ نفوذها السياسي على جميع الجبهات الممكنة، مما يجعل من الصعب بشكل متزايد تحدى

الأعمال – ويكاد يكون من المستحيل – وجود قوى غير سوقية وغير تجارية وديمقراطية. ومن خلال قمعها للقوى غير السوقية على وجه التحديد، نرى كيف تعمل الليبرالية الجديدة ليس فقط كنظام اقتصادي فحسب، بل كنظام سياسي وثقافي كذلك. وهُنا تبرز الإختلافات عن الفاشية، بإزدِرائها للديمقراطية الرسمية وحركاتها الإجتماعية المُكثفة القائمة على العُنصرية والقومية. إن الليبرالية الجديدة تعمل على أفضل وجه عندما تكون هناك ديمقراطية إنتخابية رسمية، ولكنها تعمل عندما يتم تحويل المواطنين عن المعلومات والوصول إلى المُنتديات العامة الضرورية للمُشاركة، الخبير Milton Friedman الهادفة في صنع القرار. وكما قال ميلتون فريدمان الليبرالي الجديد، في كتابهِ بعنوان *«الراسمالية والحُرية»*، بما أن تَحقيقَ الربح هو جوهر الديمقراطية، فإن أي حكومة تنتهج سياسات مُعادية للسوق تكون مُعادية للديمقراطية، مهما بلغ الدعم الشعبي المُستنير الذي قد تُحظى بهِ. لذلك، من الأفضل حصر دور الحكومات في حِماية المُلكية الخاصة وإنفاذ العقود، وحصر النِقاش السياسي في القضايا الثانوية. (يجب أن تُحدد قوى السوق القضايا الحقيقية المُتعلقة بإنتاج الموارد وتوزيعها والتنظيم الإجتماعي).

مُجهزين بهذا الفهم المُنحاز للديمقراطية، لم يكن لدى الليبراليين الجُدُد مثل ميلتون فريدمان Milton Friedman أي تحفظات بشأن الإنقلاب العسكري على حكومة الليندي Allende المُنتخبة ديمقراطياً في تشيلي في عام 1973، لأن الليندي يتدخل في سيطرة الشركات على المجتمع التشيلي. وبعد خمسة عشر عاماً من الدكتاتورية الوحشية والهمجية في كثير من الأحيان – كل ذلك بإسم السوق الحُرة الديمقراطية – أُعيدت الديمقراطية الرسمية في عام 1989 بدستور جعل من الصعب للغاية، إن لم يكُن من المستحيل، على المواطنين تحدي هيمنة الشركات والجيش على المجتمع التشيلي. تلك هي ديمقراطية الليبرالية الجديدة باختصار: نقاش تافه حول قضايا ثانوية من قِبل أحزاب تسعى أساساً إلى نفس السياسات المؤيدة للأعمال بغض النظر عن الأختلافات الرسمية ونِقاش الحملات الإنتخابية. الديمقراطية مسمُوحٌ بها طالما أن السيطرة على الأعمال التجارية مَحظورة على المُداولات الشعبية أو التغيير؛ أي طالما انها ليست ديمقراطية.

ولهذا فإن نظام الليبرالية الجديدة لهُ نتيجة ثانوية مُهمة وضرورية، وهي المواطنة غير المُسيسة التي تتسم بالامُبالاة والسُخرية. إذا كانت الديمقراطية الأنتخابية لاتؤثر إلا قليلاً على الحياة الإجتماعية، فمن غير المنطقي أن نوليها الكثير من الأهتمام؛ ففي الولايات المتحدة، أرض خِصبة لديمقراطية الليبرالية الجديدة، كان الإقبال على التصويت في إنتخابات الكونغرس في عام 1998 مُنخفضاً بشكل قياسي، حيثُ ذهب ما يزيد قليلاً على ثلث الناخبين المؤهلين إلى صناديق الأقتراع. ورغم أن انخفاض نسبة المشاركة في التصويت قد يُثير القلق بين الحين والآخر لذى الأحزاب القائمة، مثل الحزب الديمقراطي الأمريكي، التي تميل إلى جذب أصوات المحرومين، فإن أصحاب السُلطة يميلون إلى قبول هذه النسبة وتشجيعها بإعتبارها أمراً طيباً للغاية، لأن غير الناخبين، كما هو متوقع، يوجدون بشكل غير متناسب بين الفقراء والطبقة العاملة.

تُعرقل السياسات التي من شأنها زيادة اهتمام الناخبين ومُعدلات مُشاركتهم بسرعة قبل طرحها على الساحة العامة. ففي الولايات المتحدة، على سبيل المِثال، رَفض الحزبان الرئيسيان اللذان يُهيمن عليهما قِطاع الأعمال، بدعم من مجتمع الشركات، إصلاح القوانين التي تجعل من شبه المستحيل إنشاء أحزاب سياسية جديدة قد تجذب مصالح غير تجارية، والسماح لها بالنجاح.

ورغم وجود إستياءٌ واضح ومُتكرر من الجمهوريين والديمقراطيين، فإن السياسة الإنتخابية تُعدّ أحد المجالات التي لا تُجدي فيها مفاهيم المنافسة والأختيار الحُر نفعاً يُذكر. ومن بعض النواحي، يميل مُستوى النقاش والأختيار في الأنتخابات الليبرالية الجديدة إلى أن يكون أقرب إلى مستوى الدولة الشيوعية ذات الحزب الواحد منهُ إلى مستوى الديمقراطية الحقيقية.

لكن هذا بالكاد يُشيرُ إلى الآثار الضارة لليبرالية الجديدة على الثقافة السياسية التي تُركّز على المدنية. ومن ناحيةٌ أُخرى، فإن عدم المساواة الإجتماعية الناتجة عن سياسات الليبرالية الجديدة يُقوض أي جُهد لتحقيق المساواة القانونية اللازمة لجعل الديمقراطية ذات مصداقية. تمتلك الشركات الكبرى موارد للتأثير على وسائل الأعلام والتغلب على العملية السياسية، وتفعل ذلك وفقاً لذلك. في سياسة الإنتخابات الأمريكية، على سبيل المِثال لا الحصر، يقدم أغني رُبع واحد في المئة من الأمريكيين 80٪ من جميع المُساهمات السياسية للأفراد وتنفق الشركات أكثر من العمالة بهامش 1–10. في ظل الليبرالية الجديدة، كُلُ هذا منطقي، حيثُ تعكس الأنتخابات العامة، مبادئ السوق، حيثُ يتم مُساواة المساهمات بالأستثمار. ونتيجة لذلك، فإنهُ يُعزز عدم أهمية السياسة الأنتخابية لمعظم الناس ويضمن الحفاظ على حكم الشركات غير المُتنازَع عليه.

ومن ناحية أخرى، لكي تكون الديمقراطية فعالة، فإنها تتطلب أن يشعر الناس بالأرتباط مع رفاقهم المواطنين، وأن يتجلى هذا الأرتباط من خلال مجموعة مُتنوعة من المنظمات والمؤسسات غير السوقية. تحتاج الثقافة السياسية النابضة بالحياة إلى مجموعات مُجتمعية، ومكتبات، ومدارس عامة، ومنظمات الأحياء السكنية، والتعاونيات، وأماكن الإجتماعات العامة، والجمعيات التطوعية، والنقابات العمالية لتوفير طُرُق للمواطنين للألتقاء والتواصل والتفاعل مع زُملائهم المواطنين.

وديمقراطية الليبرالية الجديدة بمفهومها عن السوق فوق كلُ شيء، تستهدف هذا القطاع بشدة، فبدلاً من المواطنين، تنتج المُستهلكين. والنتيجة النهائية مُجتمع مُشتت من الأفراد المُنعزلين الذين يشعرون بالإحباط والعجز الأجتماعي.

باختصار، إن الليبرالية الجديدة هي العدو المُباشر والرئيسي للديمقراطية التشاركية الحقيقية، ليس فقط في الولايات المتحدة، بل في جميع أنحاء العالم، وسوف تظل كذلك في المستقبل المنظور.

ومن المناسب أن الشخصية الفكرية الرائدة في العالم نعوم تشومسكي Noam Chomsky يكون اليوم في المعركة من أجل الديمقراطية وضد الليبرالية الجديدة. في ستينيات القرن الماضي، كان نعوم تشومسكي ناقداً أمريكي بارز لحرب فيتنام، وعلى نطاق أوسع، ربما أصبح المُحلل الأكثر دقة في كيفية تقويض السياسة الخارجية الأميركية للديمقراطية، وقمعها لحقوق الإنسان، وتعزيزها لمصالح القِلة الثرية. في سبعينيات القرن الماضي، بدأ تشومسكي، بالتعاون مع زميله المؤلف إدوارد إس هيرمان .Edward S Herman بحثهما حول كيفية خدمة وسائل الأعلام الأمريكية لمصالح النُخبة وتقويض قُدرة المواطنين على إدارة حياتهم بطريقة ديمقراطية. ويظل كِتابهما الصادر في عام 1988 بعنوان *«صِناعة الموافقة»* نقطة البداية لأي بحث جاد في أداء وسائل الإعلام.

لماذا لا نتداعى لنصرة فلسطين كما يتداعى الجسد إذا اشتكى منه عضو؟

معروفة لدينا جميعاً مقولة: «الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»، فالجسد البشري منظومة واحدة مترابطة: كل عضو فيه يعيش على توازن دقيق، وكل خلل في جزء منه ينعكس على الباقي. لذلك عندما يصاب عضو ما، لا يُترك وحده في مواجهة الأزمة، بل تبدأ سلسلة دفاعات وتعاون داخلي كأنّ الجسم كله يقول: الخطر إن تُرك سيتمدد، وسيدفع الجميع الثمن، وهذه ليست استعارة أدبية فقط، بل حقيقة بيولوجية يمكن ملاحظتها بوضوح في أكثر الحالات تعقيدًا... مثل السرطان، فعندما يُصاب عضوٌ ما به، لا يكون الأمر «مشكلته وحده»، بل تصبح القضية قضية الجسد كله. فالسرطان خطر يهدد التوازن العام: خلايا تخرج عن النظام، تنقسم بشكل غير طبيعي، وتحاول أن تنتشر لتلتهم ما حولها.

غسان مدن

ويصبح جهاز المناعة أول من يهبّ لنصرة العضو، فيرسل خلايا متخصصة للتعرف على الخلايا السرطانية باعتبارها «خلايا شاذة»، يهاجمها ويمنع انتشارها، ويرفع مستوى الإنذار في الدم. قد يضعف المناعة أحيانًا بسبب شراسة المرض أو بسبب العلاج الكيميائي، لكن المبدأ ثابت: الجسد لا يقف متفرّجًا، فالدم هو طريق الإمداد والدعم، ينقل خلايا المناعة إلى موقع المعركة، ويحمل إشارات التوازن الهرموني والكيميائي، وكأنه حتى في أشد لحظات المرض يقول: أنا لا أقطع الدعم عن العضو المتعب.

أما الكبد، فإنه مركز التنقية وحماية باقي الأعضاء، حيث يعمل على تصفية السموم الناتجة عن الخلايا المريضة أو عن الأدوية، ويحمي الجسد من الانهيار، ويساعد في تنظيم الطاقة والمواد الأساسية، وكأنه يعلنها بوضوح: لن نترك جسدنا يغرق بسبب عضو واحد يتألم.

للكلى أيضاً دورها، فتعمل الكلى ليل نهار لتصفية الدم؛ تطرح الفضلات وتحافظ على السوائل والأمـلاح، وتمنع التسمم الداخلي، فعند وجود مرض خطير مثل السرطان، تصبح مهمة الكلى أكثر حساسية، لأن نجاة العضو المصاب لا تتم إلا إذا بقيت البيئة الداخلية للجسد صالحة للحياة.

مثل الأعضاء السابقة يمنح القلب والرئتان طاقة المقاومة للجسد، عبر ضخ الدم، نقل الأكسجين، دعم الخلايا كلها، إنهما الوقود الذي يمنع الاستسلام، فلا تعافٍ دون نفسٍ يتجدد، ولا صمود دون قلبٍ يضخ الأمل.

إذن، فإن الخلاصة الطبّية العميقة، هي أنه عند إصابة عضوٍ بالسرطان، يحدث شيء بالغ الدلالة: هو أن الأعضاء لا تتركَ العضو المصاب وحيدًا، بل تزيد الدعم لا تقلله او تقطعه، تسانده وتدفع كلفة مشتركة حتى لو تحملت الألم معه لان المصر واحد. تقاوم الخطر لأنه إن انتشرهلك الجميع، فالجسد يدرك «قانون المصير المشترك». هذه هي فلسفة الحياة في أجسادنا: إذا انتشر الورم فلن ينجو أحد.

السؤال الملح هنا لماذا لا نُفعّل هذا القانون، على قضيتنا المركزية المشتركة، كما دأبنا على تسميتهأ أي القضية الفلسطينية، أليست فلسطين هي العضو الجريح في جسد الأمة العربية، المحاصر بالألم، وهي المكان الذي تُختبر فيه معاني الأخوّة، والإيمان الحقيقي، التراحم. حين يتعرض هذا العضو للنزف والقصف والخذلان، كان المفترض، وفق منطق الطب ومنطق الجسد ومنطق الشرف، أن تتداعى له الأمة كما يتداعى الجسد، ويسهر الجميع لدعم سياسي، إقتصادي وإعلامي، وتتحرك الإمكانات لحمايته، فيحاصر المعتدي بدل أن يُمدّ.

المأساة اليوم هي ليست فقط في أن الدعم ضعيف، بل إن بعض الأنظمة العربية تفعل العكس تمامًا، فيتحول الجسد إلى خيانة داخلية، ففي الطب أيضاً إذا كان هناك عضوٌ يغذي السرطان بدل مقاومته، فذلك يُسمى انهيارًا دفاعيًا أو خللًا قاتلًا في المنظومة، وهنا بيت القصيد، فبدل أن تكون بعض الدول العربية مناعةً تهاجم السرطان، ودمًا يحمل الإمداد للمصاب، وكبدًا ينقي السموم، وقلبًا يضخ القوة، نراها في الواقع تمنح العدو "الشرعية" بدل عزله، تمدّه بالاقتصاد بدل حصاره، تفتح له الأبواب بدل إغلاقها في وجهه، وتتعامل مع فلسطين كأنها عبء يجب التخلص منه لا عضو يجب إنقاذه، وكأنها، في تشبيه الجسد، لا تكتفي بعدم علاج العضو المصاب، بل تغذي الورم وتمنحه أسباب البقاء والانتشار.

فلسطين تُقاوم، كما يقاوم عضوٌ مصابٌ بالسرطان وهو يستنزف، ومع ذلك يرفض الاستسلام. شعبٌ تحت الحصار لكنه يتنفس الكرامة، مدنٌ تتعرض للهدم لكنها تولد من جديد، أطفالٌ يُراد لهم الخوف لكنهم يكبرون على الشجاعة، ورغم الجراح، فإن فلسطين تعلّم العالم معنى الحياة، لكن المؤلم أن بعض من يُفترض أنهم الأقـرب، يتصرفون كأن القضية لا تخصهم.

وكخلاصة نقول إنّ الجسد الطبيعي إذا مرض عضوٌ فيه، يهبّ لنصرته، لا لإضعافه، يدعمه، لا ليخنقه، يحاصر الخطر، لا ليغذيه، أما الجسد الذي يطعن عضوه المصاب، فهو لا يفقد عضواً فقط، بل يفقد حياته كلها.

وفلسطين ليست فقط قضية أرض، بل قضية ضمير، فهل نحن جسدٌ واحد أم أجسادٌ منفصلة، بلا قلبٍ ولا مناعة ولا كرامة؟.

(قف)

ترامب يكرس شريعة الغاب

فهد المضحكي

إن التوغل العسكري الأمريكي في فنزويلا، واختطاف رئيسها نيكولاس مادورو وزوجته، يكشفان مرة أخرى اعتماد واشنطن على القوة الأحادية لغرض نتائج خارج حدودها، كما أن هذا العدوان، كما يقول تقرير لوكالة الأنباء الصينية «شينخوا»، يُفرّغ عقودًا من الخطاب الأمريكي، الذي يقدم الولايات المتحدة بوصفها حارسة لقواعد النظام الدولي، من مضمونها. فمن خلال تجاوز مجلس الأمن الدولي، تصرّفت واشنطن مجددًا في تعارض مباشر مع القانون الدولي.

تنص المادة 2 (4) من ميثاق الأمم المتحدة، وهي مبدأ تأسيسي في القانون الدولي، صراحة على حظر استخدام القوة أو التهديد باستخدامها ضد سيادة الدول ووحدة وسلامة أراضيها. وبالتالي؟ فإن الإجراء المتخذ ضد زعيم دولة ذات سيادة قد أظهر للعالم، وبلا لبس، من هو المنتهك الحقيقي للقانون الدولي.

ويقدّم التاريخ سوابق وافرة. فمن العراق وليبيا إلى بنما وغرينادا، استخدمت الولايات المتحدة أو هددّت باستخدام القوة مرارًا وتكرارًا تحت ذرائع مشكوك فيها، وغالبًا ما خلّفت وراءها حالة من عدم الاستقرار طويل الأمد. أما فنزويلا، التي خضعت طويلًا للعقوبات والضغوط السياسية، فتضمّ الآن إلى تلك القائمة، حيث جرى تهميش الدبلوماسية مرة أخرى لصالح القسر العسكري.

ويزيد من إدانة هذا العدوان كونه وقع في أمريكا اللاتينية. فالمنطقة عانت تاريخًا طويلًا من التدخلات الأمريكية، ولم يختفِ المنطق الذي يقف وراءها أبدًا بشكل حقيقي، وكما أشارت شبكة (سي إن إن) في تحليلٍ لها "في صميم التحرك تكمن طموحات واشنطن الأوسع لفرض سيطرة أكبر على جوارها القريب، لما أسموه نسخة محدّثة من مبدأ مونرو".

قد لا يُعلَن هذا المبدأ صراحة بعد الآن، لكن جوهره لا يزال قائمًا: فما زال نصف الكرة الغربي يُعامل باعتباره مجال نفوذ حصريًا لواشنطن.

ومن خلال أفعالها المتكررة نفسها، برزت واشنطن كأحد أخطر التهديدات للنظام الدولي الذي تزعم الدفاع عنه. وبالنسبة لبقية العالم، لم يعد التحدث عن السيادة والتعددية خيارًا يمكن الاستغناء عنه، بل أمرًا أساسيًا لمنع العودة إلى عالم تقرر فيه القوة، لا القانون، مصير الدول.

يقول إسماعيل الريماوي، وهو كاتب ومحلل سياسي فلسطيني، في مقالٍ نَشرته وكالة "وطن" للأنباء، لم يعد من المبالغة القول إن النظام الدولي يعيش إحدى أكثر مراحله انحدارًا منذ نهاية الحرب الباردة، ففي عهد ترامب تراجعت السياسة الخارجية من إدارة نفوذ إلى استعراض القوة والهيمنة ومن الالتزام بالقانون الدولي إلى الاستخفاف به ومن الشراكة إلى منطق الإملاءات.

ومن منظوره، تعكس سياسات واشنطن في السنوات الأخيرة تحوّلًا واضحًا نحو استخدام القوة الخشنة، والتهديد المباشر كأدوات أساسية في إدارة العلاقات الدولية، وهو ما تجسد بوضوح مع فنزويلا حيث جرى دفع البلاد نحو الفوضى السياسية والاقتصادية، وفرض وصاية غير معلنة على قرارها السيادي بذريعة حماية الديمقراطية وتجارة المخدرات، بينما الهدف الحقيقي كان ولا يزال السيطرة على ثرواتها النفطية، وتحجيم أي نموذج يخرج عن الطاعة الأمريكية.

هذا النهج لم يقتصر على فنزويلا بل امتد ليشمل كوبا وكولومبيا والمكسيك حيث باتت لغة التهديد والعقوبات والضغط العلني سمة ثابتة في الخطاب الأمريكي تجاه دول أمريكا اللاتينية في عودة صريحة إلى عقلية الحديقة الخلفية التي اعتقد كثيرون أنها أصبحت من الماضي.

وفي الشرق الأوسط تتخذ هذه السياسة منحىً أكثر خطورة عبر التهديد باستهداف إيران ضمن مشروع أوسع لإعادة تشكيل المنطقة بما يخدم المصالح الأمريكية والإسرائيلية، وهو ما يترافق مع دعم مطلق لإسرائيل في عدوانها المستمر على غزة ولبنان وسوريا حيث تُمنح تل أبيب غطاءً سياسيًا وعسكريًا كاملًا لمواصلة سياساتها العدوانية دون أي مساءلة دولية.

ولا يقف الأمر عند حدود الخصوم فحتى الحلفاء لم يسلموا من هذا المنطق، حين هدد ترامب بشكل مباشر بالاستحواذ على جزيرة جرينلاند التابعة للدنمارك في سابقةٍ تعكس استخفافًا غير مسبوق بمبادئ السيادة واحترام الدول الصديقة وتؤكد أن منطق القوة بات يتقدم على كل ما عداه.

إن القاسم المشترك بين هذه السياسات هو نرجسية سياسية ترى في العالم ساحة مفتوحة لتصفية الحسابات وتحقيق المكاسب، وتتعامل مع القانون الدولي كعبء لا كمرجعية، وهو ما يدفع النظام العالمي نحو مرحلة من الفوضى المنظمة حيث تُدار العلاقات الدولية بمنطق الأقوى لا التوازن.

في ظل هذا الواقع يصبح الصمت الدولي شريكًا في ترسيخ شريعة الغاب، ويغدو التواطؤ الغربي عنوانًا لأزمة أخلاقية قبل أن تكون سياسية، فإما أن يُعاد الاعتبار للقانون الدولي ولمفهوم السيادة وإما أن يستمر الانزلاق نحو عالم تحكمه القوة وحدها وتُداو فيه السياسة بمنطق الواقع لا بمنطق العدالة والشرعية والقانون.

يقول الدبلوماسي والحقوقي اللبناني د. جان معكرون: "في السياسة العالمية القانون شيء أما الواقع فهو حكمٌ آخر. وإن السوابق التاريخية تبيّن أمثلة عديدة جدًا على قيام الدول القويّة بحلّ مشاكلها بنفسها، أي باعتماد القوّة ضد الدول الأخرى التي لا تجاريها في مواقفها، رغم توافر المواثيق الدولية التي تمنع ذلك، وفي مثل هذه الأحوال ما الذي يمنع دولة قوية أو عظمى من التعدّي على دولة صغيرة أو غزوها من أجل تحقيق أهدافها التوسعية أو غيرها كما حصل مؤخرًا في فنزويلا. أما العقاب الوحيد على هذا التصرف العدواني غير القانوني لن يكون سوى الإدانة من الدول المعارضة".

وفي هذه الحالة، يجدر بنا أن نتذكّر مقولة نابليون "أن المبدأ أو القانون جيّد لكن لا يتضمن أي التزام".

ترامب وحلم النفط وجائزة السلام المزعومة

العـــدوان الإمبـــريـــالـــي علـــى فنـــزويـــلا

في خطوة تذكر بأحلك أيام الاستعمار القديم، شنّ الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عدوانًا عسكريًا صريحًا على فنزويلا، في ترجمة عمليّة لوحشية السياسة الأمريكية التي تتزعمها إدارته. يأتي هذا العدوان بعد عام واحد فقط من عدوانه المشترك مع الكيان الصهيوني على إيران، ليؤكد ترامب مكانته كأكثر الرؤساء الأمريكيين عدوانية في التاريخ المعاصر، وليكشف عن الوجه الحقيقي لطموحاته الشخصية، ومن بينها الترشح لجائزة نوبل للسلام، التي تتناقض تناقضًا صارخًا مع سياساته.

جلال إبراهيم

الهدف المُعلن وراء هذه الحرب القذرة واضح ولا لبس فيه: وضع اليد على الاحتياطي النفطي الهائل الذي تمتلكه فنزويلا، والمقدر بنحو 300 مليار برميل، أي ما يعادل 20 ٪ من الاحتياطي العالمي. هذا الكنز يفوق احتياطيات دول مثل السعودية وإيران والعراق مجتمعة، مما يجعله مطمعًا استراتيجيًا للإمبراطورية الأمريكية المتعطشة للهيمنة.

ولفهم جذور هذا العدوان، يجب العودة إلى «عقيدة مونرو» الاستعمارية التي أعلنها الرئيس جيمس مونرو عام 1823، والتي تعتبر أمريكا اللاتينية «حديقة خلفية» للولايات المتحدة، وتحظر أي نفوذ أوروبي فيها. لقد تطورت هذه العقيدة لتصبح أداة لسحق أي إرادة استقلالية لدى شعوب المنطقة، واعتبار أي نزوع نحو السيادة تهديداً للمصالح الأمريكية. ما يحدث اليوم في فنزويلا هو الفصل الأخير من هذه العقيدة، حيث يتم تدجين المنطقة بالقوة العسكرية المباشرة.

لم يكن العدوان عملاً عسكريًا تقليديًا فحسب، بل كان عملية لصوصية إرهابية بكل معنى الكلمة. فقد استهدف الطيران الأمريكي البرلمان الفنزولي، والمطارات، ومحطات الكهرباء الحيوية، بالإضافة إلى أهداف مدنية وعسكرية أخرى. بل تجاوز ذلك إلى قصف منازل الوزراء والمسؤولين، في انتهاك سافر لكافة الأعراف والقوانين الدولية. ذروة الجريمة كانت في اختطاف الرئيس المنتخب نيكولاس مادورو وزوجته، ونقلهما قسرًا خارج البلاد، في سابقة خطيرة تشبه عمليات العصابات.

لا يمكن اختصار ما يحدث في فنزويلا ضمن إطار «مظاهرات سلمية» أو «مطالب ديمقراطية». المشهد الحقيقي هو عدوان إمبريالي واضح ضد دولة مستقلة، تُفرض عليها عقوبات اقتصادية مجحفة منذ سنوات، مما يزيد معاناة شعبها.

هذا الهجوم يمثل محاولة ممنهجة لكسر إرادة الشعب والتحكم في خياراته. لذلك، فإن التضامن العالمي مع الشرعية الدستورية في فنزويلا ليس مطلبًا سياسيًا فحسب، بل واجب أخلاقي وإنساني. الوقوف معها يمثل اختبارًا حقيقيًا لمدى التزام المجتمع الدولي بمبادئ السيادة وحق تقرير المصير. إنه دفاع عن مبدأ أساسي: ألا تتحول أي دولة أخرى إلى ضحية للمشاريع الإمبراطورية، وأن تظل إرادة الشعوب هي الحَكَم.

الذكرى 71 لتأسيس جبهة التحرير الوطني

شكّل الخامس عشر من شباط (فبراير) عام 1955 حدثاً هاماً في تاريخ وطننا بلادنا، عندما أسَّست كوكبة من المناضلين الثوريين جبهة التحرير الوطني البحرانية (جتوب) حزباً ماركسياً لينينياً، هدفه الرئيسي النضال لطرد الاستعمار البريطاني من بلادنا، فكان شعار يسقط الاستعمار البريطاني على جدران أزقة المنامة والمحرق والقرى إلى جانب شعارَي عاش نضال هيئة الاتحاد الوطني، إطلاق سراح المعتقلين والسجناء السياسيين وإعادة المنفيين.

جاءت هذه الشعارات الوطنية بعد قمع التحرك الذي قادته هيئة الاتحاد الوطني وسجن ونفي قادتها إلى جزيرة سانت هيلانة في المحيط الهادي، وسجن آخرين منهم في البحرين من قبل المستعمر البريطاني، ففي تلك الأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها البحرين شقَّ حزبنا المناضل طريقه، رافعاً راية النضال الوطني والطبقي من أجل نيل الحرية والاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي.

وفي الطريق النضالي قدَّمت "جتوب" العشرات والمئات من مناضليها شهداء ومعتقلين لسنوات طويلة في السجون والمعتقلات وفي المنافي البعيدة والمحرومين من العمل والسكن، ورفعت الجبهة العديد من المطالب التي تحقق بعضها بفضل تضحيات الرواد الأوائل من مناضليها ومناضلي الحركة الوطنية في البحرين، وفي ذكرى تأسيس الجبهة التي يمثل منبرنا التقدمي امتدادها التاريخي، نجدد الوفاء لنهجها وتضحيات مناضليها بمواصلة النضال في سبيل تحقيق الأهداف التي تأسست من أجلها.

فـي الفــرق بين فنــزيــلا وكــوبــا

فائزة مصطفى

عقب هجومه السافر على فنزويلا رفع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يده محذرا كوبا من مصير مشابه قائلا «سننظر في أمر كوبا في الأيام القادمة».
الواقع أن ترامب بذكره لكوبا مباشرة عقب إنتهاكه لكراكس أراد للعالم أن ينظر لهافانا بنفس العين والميزان وإعتبار البلدين وجهين لعملة واحدة، ليسهل عليه التسويق بعدها لأي فعل عسكري أو تدخل أمريكي قد يحدث على هذه الجزيرة الكاريبية.

والحقيقة أن التشابه بين فنزويلا وكوبا تماما مثل التشابه بين الليل والنهار. صحيح أن نظام الحكم إشتراكي في كلا البلدين، ومع ذلك بينهما من الفرق ما بين السماء و الأرض من مسافة، فبينما أنشأ النظام الحاكم في كراكس لنفسه، منذ ما يقارب الثلاثين عاماً، دولة داخل الدولة بتكوينه لمليشيات تدين بالولاء للثورة الشافيزية وليس لفنزويلا، ويتكوّن أفرادها من عناصر أجنبية لها نفوذ واسع داخل البلد، وأيضا من مؤسسات مدنية و سياسية تخدم مصالح الشافيزية على حساب مؤسسات الدولة العامة مما جعل الدولة الفنزويلية غاية في الهشاشة، وعلى شفير التفكك والإنهيار أمام أيــة محــاولــة لتغير نـظـام الحكم وإزاحة الشافيزية.
وتحدثت الكثير من التقاريرعن أن نظام الحكم في فنزويلا، وبالرغم من أنـه قام بطرد شركات البترول الأجنبية وعلى رأسها الأمريكية في الماضي ليلبس ثوب الإشتراكية التي تعيد الممتلكات العامة للشعب، إلا أنه باع الدولة بأكملها للمليشيات والجريمة المنظمة مقابل تقوية حكمه وضمان إستمراره.
بينما كوبا، وعلى الرغم من التراجع المروع في إقتصادها، وفي درجة تأثيرها على مجريات الأحداث العالمية، فضلاً عن عزلتها الطويلة جداً التي رمت بها في غياهب النسيان، فإنها ظلت حرة أبية، لم تنكسر يوما و لم تتراجع عن مبادئ الثورة الإشتراكية بقيادة فيديل كاسترو قيد أنملة.
إحتفظ النظام الحاكم في هافانا بالسلطةعن طريق تمسكه بمبادئ الإشتراكية، ولم يلجأ للأسلوب الرخيص بتأسيس دولة داخل الدولة للحفاظ على وجوده كما فعل الذين يرأسون كراكس والنماذج كثيرة غيره من جميع أنحاء العالم، ففي كوبا هناك جيش واحد ومؤسسات دولة قوية موحدة وتعليم حكومي عادل ومجاني ونظام صحة وطني يتساوى امام مايقدمه من خدمات مجانية جميع سكان البلد، فلا وجود للتعليم الخاص ولا للمستشفيات الخاصة في كوبا، ولا أحداً تحدث يوماً أن حكومة هافانا باعت شيئاً من الثروات الطبيعية للبلد لجهة أجنبية، ولا سلّمت إستقلاليتها لقوى إقليمية أو عالمية، أو أنها تدخلت في الشئون الداخلية لاي بلد آخر يجاورها.
ستون عام من العزلة والعقوبات الإقتصادية لم تكسر كوبا، ولم تحنِ هامها المرفوع في وجه الإمبريالية العالميةَ ووحش الرأسمالية.
صحيح أن هذه العقوبات جعلت الحياة في كوبا غاية في الصعوبة، وضيّقت الحال وأفقرت الشعب الكوبي وكسرت أحلام الشباب و كانت المسبب الرئيسي في ان تصبح الهجرة سبيلاً للنجاة وليس خياراً بالنسبة للشباب الكوبي، إلا أن كوبا حققت الريادة في الكثير من المجالات على رأسها المجال الطبي و البحث العلمي، حيث نال الطب في كوبا شهرة واسعة في مختلف أنحاء العالم وأصبح للطبيب الكوباني مكانته المميزة أينما حل.
يسافر المـرضــى الـذيـن وقـف الأطـبـاء حائرين في أمر علاجهم من كل أنحاء القارة اللاتينية لتلقي العلاج الناجع في كوبا التي هي الأمـل الأول والأخـير في الشفاء، وأصبحت هافانا هي الوجهة الأولى للرعاية الصحية حتى بالنسبة لمواطني دول تعتبر قوى عظمى كالبرازيل والمكسيك والأرجنتين.
ستون عام من الخنق الإقتصادي الأمريكي، وما يزال كل شيء في كوبا بعافيته ويعمل بكل ما هو متاح من طاقاته؛ القطارات؛ الطيران، الزراعة، التصنيع، التصدير، الصيانة، إعادة التدوير، البحث العلمي، الإكتفاء الذاتي، وفوق ذلك ظلت كوبا حرة مستقلة سيدة نفسها شامخة.
وعندما أشار ترامب لكوبا كمرادف لفنزويلا ليوهم العالم بتشابه غير موجود بين البلدين إلا في أحلامه، فهو بذلك يحاول أن يحقق ثأراً قديماً، ويشفي حقداً مايزال يغلي في أعماق الصدر من هزيمة الولايات المتحدة الأمريكية التاريخية أمام قوة وعنفوان وعدالة الثورة الإشتراكية الكوبية التي كان لها دور في تغيير وجه العالم ستينيات القرن الماضي، وما تزال شامخة كشاهد حي لكل الإنسانية على أن العدالة الإجتماعية ومجانية الحقوق الأساسية للمواطنين من تعليم وعلاج وكفالة مجتمعية ممكنة ودائمة وصامدة أمام جبروت وسلطان رأس المال والقطاع الخاص وإقطاعيه الجدد.

حـول « مِنفَضــة» سميــح القــاســم (٢)

«أنا مِنَ القوَّة، بحيثُ أستطيع الإعتراف بِضَعفِي!»

«ها أنتَ يالذي هو أنا، وقد يكون أنا، تدبُّ على قدميك وعصاك في وعورة حَولكَ السادس والستين، مثقلاً بالشكوك مُفعماً باليقين.يسألونك: مَن أنتَ؟ فتجيب المرارة والتجربة، ويجيب الحلم الموجع ويجيب رمادُ الأمل المنتظر عنقاءَه: أنا الذي صدق كل شيء في النصف الأول من عمره، أما في النصف الثاني من هذا العمر فلا يصدق شيئاً..«(ص ١١).

محمد ديتو

هكذا خاطب سميح القاسم نفسه في مطلع سيرته الذاتية "إنها مجرد منفضة". هنا نجده في لحظة صفاء نادرة مع النفس يحاور ويسائل ذاته بصدق، ساعياً للمصالحة بين مشاعره المتناقضة، المُتسِمة "بالإحتكاك ذي الوتيرة المزعجة بين أصابع تفاؤلك الطويلة، وجدران اليأس الرخامية السوداء الباردة" حسب تعبيره . كان يعيش حالةً من عدم الانسجام مع عالمه الخارجي المضطرب: «أنت محاط بعالم لا ينقصه الجنون. بل لعلّ جنون العالم أكثر مما ينبغي. ويبدو لك أحياناً أنّ العقل ليس في اجازة بل هو في منفى قسريّ، ومَن يدري؟ لعلها حكمة ربانية. لعل العالم بحاجةٍ لشئ من الجنون حتى تظهر نعمة العقل." (ص 169). بالإضافة إلى كل ذلك، تزامنت صعوبة حركته الجسدية الناجمة عن حادث السيارة الذي تعرّض له، مع مواجهته «للحواجز الكثيفة الصلبة العالية التي تعترض حركة حلمك، كل هذه العوامل المتداخلة والمتراكمة تجعلك أقلّ تشبثاً بالحياة».

كانت كتابته لسيرته الذاتية، على ما يبدو، أحد أساليب مقاومته لليأس كما أكد في الصفحات الأخيرة من كتابه: "هُنا أنت. وهذا هو أنت. هنا بلادك وأمتك وعالمك...وهذا هو وجعك الصاخب، كأنّما بلا جدوى وكأنّما بلا أمل! ..ولك أن تجهر بها. إنّها خُلاصة تجربتِكَ وجمرة حالتك، وقناعة وعيك: أنا مِنَ القوَّة، بحيثُ أستطيع الإعترافَ بِضَعفِي!!..من بدء زمنك إلى بدء نهايته، ومن أدنى أرضك إلى أقصاها ومَنتهاها، ينتصب قبالتك اليأس بكل وقاره ورهبته ويدعوك إلى حظيرته، فتصهل في بقايا أعماقك بقايا عنفوانك: لا. أيّها اليأس. لم يخلق أحدنا للآخر. فلا أنت من القوة بحيث تقهرني ولا أنا من الرفاه بحيث أشتريك. لا. أيها السيد اليأس. لن تعثر فيَّ على خليةٍ تستقبلك ولا على مسامة ترتضيك. فامض في شأنك. عند سياجي تنتهي رحلةُ صيدك. وسيسبقك الموتُ إليّ." (ص 323). سميح لا ينكر سطوة حالة اليأس عليه، ولكنه يرفض الاستسلام لها، بل كان «غرامشياً» بامتياز: متشائماً بالعقل، ومتفائلاً بإرادة المقاومة، لا يزال يحب الحياة، ولكنه "أقل تشبثاً" بها !

أشار في كتابه إلى أنه كان دائم البحث عن صيغة تؤمن له "قناعة الانسجام بينَ الوعي العلماني، والهاجس الروحاني»، وهي قناعة تحتاج الى تجديد وصيانة باستمرار، دفعته لمراجعة ذاته عبر السنين: «لستَ اليوم إنساناً آخر، لكنك قطعاً إنسان مُختلف بعض الشئ، وقد تكون مختلفاً إلى حد بعيد عن الإنسان الذي كنته قرابة نصف قرن." (ص172). هناك مجموعة من الأسباب دفعته لكتابة سيرته الذاتية ، قام بتحديدها بوضوح في كتابه، وهي أسباب جديرة بالوقوف عندها بشيء من التفصيل، لأنها بشكلٍ ما، ستحدد إطار ومحتوى ما سيبوح به في ثنايا الكتاب، وتساهم في ضبط توقعات القاريء.

السبب الأول يتلخص في رؤيته لكتابة السيرة الذاتية كضرورة ومسئولية تجاه أفراد أسرته، وهذا ما نلمسه أيضاً في وضوح وحميمية السرد : « لا تعلم إذا كانت هذه الصفحات ستنشر في حياتك أو بعد رحيلك. ولا تعلم، أصلاً، إذا كانت ستنشر. لكنك تعلم أنها ضرورية، ولو لأفراد أسرتكَ الصغيرة فحسب.. للزوجة الغالية جداً، شريكة العمر والحلم والهم «نوال»، وللأبناء الأعزاء بلا حدود: «وطن محمد» ،»وضاح»، «عمر»، و»ياسر» آخر العنقود.. تحمل أوراقك وسجائرك وتنتقل إلى مائدة المطبخ. ستسرح مخيلتك وتكتب هناك ..في جو المطبخ تشعر بحميمية إستثنائية.. تحسّ أنك في البيت مئة في المئة.. تحسّ بأطياف زوجتك وأبنائك" (ص151).

في موقع آخر من الكتاب، نراه يشعر بحاجة لتجديد نفسه: «تتملكك الآن شهوة ناضجة للانتقال من حالة إلى أخرى تتيح لك شيئاً من التفرغ لإعداد أعمال جديدة وأخرى قديمة للطبع.» وربط ذلك «برغبة ترتيب الأوراق وتنظيم المكتب، لشخص ما، أو لأفراد، أو لجهة.. أو لنقل لورثةٍ ما، تستحوذ عليهم قناعة ودية بضرورة تنسيق مسارِ العلاقة المستقبلية بين رمادك أنت لا رماد تبغك، وبين منفضتك أنت لا منفضة سجائرك.“ (ص 280).

ثانياً، إعتبر سميح كتابه بمثابة مرافعة يقول فيها الحقيقة عن حياته: «تقرأ الكلام المفعم بالمدح، إلى جانب الكلام المشبع بالقدح، فلا يرضيك هذا ولا يثنيك ذاك..إذاً لابد من مرافعة تستند إلى حقيقتك.. أنت لا تؤمن بفصل الإبداع عن الحياة. لا تؤمن بتجزئة التجربة“ (ص 12). هذه المرافعة تطلبت منه بأن يضع نفسه أمام ”كرسي الإعتراف.والكاهن الذي يُصغي إليك، إسمه الحقيقة، وكنيته الصدق، ولقبه العفوية، وإذا شئت أن تهبه شيئاً من المهابة فلتسمّه التاريخ.إنه تاريخ شخصي.أو هو شذرات من سيرة».

بيد أن ذلك لا يعني بأنّ كل شيء مباح في كتابة ونشر السيرة الذاتية لدى سميح، إذ أن هناك ضوابط أخلاقية يعلنها بوضوح: «من المؤكد أن وفرة من الناس تتمتع بالاستمتاع إلى قصص الغرام والهيام والصفح والانتقام، وتتسقط اللذات من مغامرات النهار وأسرار الليل، لكنك سرعان ما تجد متراساً وملجأً في ذرائع العمر وروادع الوقار وسلم الأولويات وحكمة الجدوى“ (ص 208). كما نجده يحذر من ظاهرة ”عجائز زوربا“ (تعبير استوحاه من أحد المشاهد في رواية نيكوس كازنتاكس الشهيرة ”زوربا“، حيث تقوم عجائز القرية بنهب ممتلكات الموتى بدون مراعاة لحرمتهم) فنراه يتجنب الإفاضة في الحديث عن أصدقاء ورفاق رحلوا، واقترح أن يُسهب طرف ثالث في الكتابة عن موضوع صداقاته، كما حدد معياراً هاماً لكتابته عن الراحلين من معارفه: «بشأن الأصدقاء الراحلين فإنك تعتمد قيمة الإنصاف، دون أن يكون إنصافهم على حساب حقيقتك، ودون أن يكون إنصافك على حساب حقيقتهم...ولأن الصدق قد لا ينسجم دائماً مع «ذكر المحاسن»، فإن الصمت يفرض حضوره بقوّة“ (ص 338 – 339).

نعم، أرى بأن تحذير سميح من ظاهرة ”عجائز زوربا“، وأهمية ”حضور الصمت“، تحذير ينطوي على ضوابط أخلاقية هامة لم ينتبه لها – أو تجاهلها – العديد من الأدباء والنقاد في التعامل مع إرث الراحلين من أصدقائهم ومعارفهم. يحضرني هنا – على سبيل المثال لا الحصر – نشر ”غادة السمان“ لرسائل غسان كنفاني إليها في تسعينيات القرن الماضي، وكيف أضرّت تلك الخطوة بمشاعر أسرة الشهيد خاصة وأنهم كانوا على قيد الحياة. هل هناك قيمة فنية تعلو على، أو تبرر، نشر ما قد يجرح مشاعر الزوجة والأبناء؟

ثالثا أشار سميح الى أن كتابته لسيرته الذاتية تأتي إستجابة لطلبات عديدة تلقاها عبر البريد والهاتف والانترنت من تلاميذ وتلميذات من المدارس الابتدائية، طلبة وطالبات من المعاهد العليا والجامعات، أساتذة وباحثون يطلبون نبذة عن حياته، أو مرجعا ما يتناول تجربته الشعرية.

وفي هذا السياق يؤكد: «تظل قصيدتك هاجسك الأكبر»، ويرى بأن كتابه ”في المحصلة ليس أكثر من ديكور ورتوش، ووسائل إيضاح أيضاً على خلفية القصيدة أو على هامشها. وأنت على قناعة بأنّه ما من شيء يستطيع اختراع خط أقصر من الخط المستقيم بين جوهر القصيدة ووعي المتلقي“ (ص 279). ورابعاً، هناك مسألة هامة، وإن كانت تبدو هامشية، إذ نقرأ بأن كتابته لسيرته الذاتية لم تكن عبئا عليه، بقدر ما جلبت قدراً من السعادة له: «عثرت على متعة في إستذكار مسائل لا تخلو من عناصر التشويق الحكواتية، إلى جانب جدوى المعرفة والتوثيق.“ (ص 218).

كما سبق وأن أشرنا فقد سلك سميح درب الإرتجال في سرده مبتعداً عن قواعد ثابتة، محافظاً على ”هارمونية“ النص، حاله كعازف ساكسفون بارع يرتجل ألحانه في مقطوعة جاز جميلة، مستلهماً في كتابته من قوالب شعرية أبدع هو شخصيا فيها، ونقصد على وجه التحديد ”الكولاج“ و“السربية“.

لعبت الصدفة دورها في إستخدامه لقالب «الكولاج» الشعري لأول مرة مطلع الثمانينات حين شعر بالضجر في إحدى المحاضرات التي كان يستمع إليها في إحدى

المؤتمرات ”فلم يشعر إلا وقد أخذ قلمه وبدأ يرسم بعض الخطوط ثم يُتْبعها ببيت شعر ثم بتعليق لاذع وهكذا حتى انتبه إلى زميل له يخبره أن المحاضرة انتهت، فجمع كلّ ما كتبه على قصاصات الورق وخرج.

وفي غرفته عاد ليتصفّح الأوراق المتناثرة، وأعجبه النّسق الذي جمَع بينها، وعمل فيما بعد على مراجعتها وتنسيقها لتخرج على شكل صورة فنيّة متميّزة، دفعته ليُعاود التجربة ويُطوّرها شكلا ومضمونا، وكان من نتيجة هذا العمل مجموعة كولاج الأولى التي صدرت عام 1983 (مقالة ”كولاج .. إبداع متميّز لسميح القاسم“– د.نبيه القاسم).

كتب سميح عن كتابه: «إنك تصنع هُنا كولاجاً كبيراً ثلاثي الأبعاد. قد يشكّل بمجمله انطباعاً ما. قد يعرض تكويناً شخصياً إنسانياً ذاتياً تبلورت تقاطيعه وقسماته وملامحه العريضة والدقيقة في أتون التجربة ومرجل الحياة.“

أما اسلوب ”السربية“ وهي القصيدة الطويلة، فهي ”قائمة على التداعيات والإستطرادات والتي تتّخذ شكلها من شكل ”السَّرْب“، أو تحليق أسراب الطيور وتعدد حركاتها وتحولاتها في إطار واحد.» (ص 213).

أشار سميح الى أن أمانة الذكرى حملته مسئولية التطرق الى ”أحداث تبدو صغيرة حينَ تنظر إليها من زاوية ما، لكنها تصر على أنها كبيرة حينَ تتأملها من زاوية أخرى“ (ص 172) حاله في ذلك كحال المصور الفوتغرافي البارع الذي يبدع في إختيار زوايا لقطاته.

فـــي أثـــــر زوبعـــــة لا تُـــــرى

د. زهراء المنصور

لا يشغلنا الهمُّ عمّا هو أهمّ*

اقتبس مؤلفٌ مصري فكرةً ساخرة تُقال مجازاً على ألسنة فاضت بالمعاناة، وتأتي غالباً في صيغة سؤال: متى سيأتي ذاك النيزك الذي ينهي الحياة على كوكب الأرض؟ ناقش فيها فكرةً خيالية لنيزك يقترب لينهي الحياة على الأرض، وبين شاشة التلفزيون والممثلين كان الحدث. ورغم حيوية الفكرة، والقدرة على التشعّب فيها بشكل مبهج، فإن ثمة موانع أرجعها –ربما– إلى قلة الخبرة أو التوجيه للمؤلف/المخرج الشاب، جعلت من الحدث الخارجي حدثاً سطحياً لا علاقة مباشرة له برسالة العرض أو أداء الممثلين، وتم استعراضه في قرابة الساعتين من وقت المتلقي، بلا تطوّر في الحدث.

على سياق متصل وواعٍ من فكرة الحجر الذي يُرمى لتحريك الماء الراكد؛ استعانَت الكاتبة المسرحية الكويتية تغريد الداوود بفكرة «الزوبعة» التي تُطرح ليس بوصفها عاصفة طبيعية وكارثة وحسب، بل باعتبارها مختبراً إنسانياً وأخلاقياً يكشف كيف تضيع الحقيقة –ولو كانت نسبية– بين التصديق والانقسام واللا مبالاة؛ وكيف يتحوّل الخطر الخارجي إلى انهيار داخلي حين يعجز الإنسان عن الفهم، والإجماع على وجهة نظر واحدة مع الآخرين واتخاذ موقف واضح؛ حيث يقوم نصّها «الزوبعة خارج الفنجان» على حدث مركزي واحد هو اقتراب الزوبعة، التي تتحوّل إلى استعارة كبرى لحالة الاضطراب والتهديد التي تحيط بالمجتمع، بينما تتوزع الأحداث في مشاهد منفصلة تتغير فيها الأمكنة والشخصيات، ويبقى الحدث نفسه هو الرابط بينها.

الإشارة الأولى تقوم على اختيار موفق لشخصية «الفلاح» الذي يُفاجأ بزوبعة تهزّ الأرض أثنَاء عمله، وهو عمل يتطلب أن يكون قريباً من الأرض، ويشعر بها –يقيناً– قبل الآخرين. والعرض في جوهره يتناول الزوبعة في تمثيل رمزي للعاصفة الفكرية والاجتماعية التي يعيشها الإنسان في الشرق الأوسط، والتعبير بخطاب ثقافي عن العجز الجمعي الذي يسيطر على الجميع؛ حيث ينتقل بنا بعد ذلك إلى فضاءات أخرى يتجادل فيها خبراء الأرصاد الذين تتضارب تفسيراتهم، ويتحوّل التحذير من الخطر إلى صراع كلامي ينتهي بانقطاع البث، بما يعكس عجز الخطاب الرسمي والإعلامي عن تقديم حقيقة واضحة.

الإشارة الأخرى حين يعلو النقاش في مقهى شعبي، وينشغل الناس بصراعات هامشية (تشجيع كرة القدم/ جدل الشاي والقهوة)، بينما يحاول الفلاح تحذيرهم من اقتراب الزوبعة، لكن صوته يضيع وسط الضجيج والانقسام، إلى أن يُعلن رسمياً عن مرور الزوبعة، ليتخذ العرض بُعداً رمزياً أعمق في مشاهد لاحقة؛ كأن تظهر شخصيات تمثل اليمين واليسار والوسط، تتصارع في خطابات آيديولوجية متناقضة حول المسؤولية والنجاة، ومشهد قارئة الفنجان التي تكشف عن نبوءات شعرية لحالة التيه والضياع وفقدان الاتجاه، في خط مهتز بين التصديق والخرافة التي باتت خارطة حياة عند البعض.

والفاقد والمفقود ينتهيان في متاهة؛ كلٌّ منهما يصرّ على أن طريقه هو طريق النجاة، دون أي اتفاق أو يقين. وهنا تتجسد أزمة الإنسان المعاصر الذي يبحث عن ذاته في عالم فقد الاتجاه. فهما يتجادلان حول الطريق الصحيح: مع التيار، أم ضده؟ وهذا السؤال يعيد إنتاج المعضلة الثقافية الكبرى: هل الخلاص في الطاعة والانصياع، أم في التمرد والمواجهة؟ لكن كليهما يضلان الطريق؛ لأنهما لا يملكان البوصلة. إنهما يمثلان انقسام الذات العربية بين الخوف والرغبة في التغيير، بين الحداثة والتراث، بين الدين والعقل. أحدهما يخشى أن يضيع القبلة فلا تُقبل صلاته، والآخر يخشى كذلك أن يضيع بيته فيظل مشرّداً. المتاهة التي يدوران فيها ليست مكاناً، بل رمزاً للوعي المعلّق؛ حتى لو أتى مَن يوجّههما، فلن يكون هذا الأمر متفقاً عليه.

لكن الطامة الكبرى التي يُبنى عليها كل ما سبق، تتجلى في مشهد الزوبعة حين تنتقل إلى "البيت" حيث الأساس، بيت أسرة ينقسم أفرادها بين الانغلاق خوفاً على الذات، والدعوة إلى الانفتاح والمساعدة. يحاول الأب حماية البيت بإغلاق الأبواب والنوافذ، لكن الخطر يتسلل من الداخل: تصدعات/ مياه/ انهيار إلى أن تنتهي الأحداث بذعر جماعي متوقع، يقترح فيه النص دخول المراقب وإيقاف المشَهد، للتأكيد أن ما حدث ليس إلا عرضا متكررا يمكن إعادته في أي وقت، بينما الرؤية الإخراجية انتهت بجعل النهاية متناسبة مع مسائلة الوعي عند الانسان الذي ينشغل بالسطحي والتافه، ويُغفل الخطر الحقيقي.

فالمجتمع –كما يُصوّره العرض– يعيش حالة تشويش دائمة: أصوات متضاربة، وخبراء يتنازعون على الهواء، وجماهير تهتف في المقهى، وأسرة تختبئ خلف الجدران، كأنّها تجسيد لثقافة الصوت بلا معنى، والثرثرة التي تملأ الندوات التي نعرفها بكلام عريض ومصطلحات فجة من فرط

صعوبتها، لا تصل إلى متلقٍّ واحد، فتتلاشى الحقيقة التي ينبغي أن تُقال. الزوبعة ليست خارج الفنجان فحسب، بل خارج الوعي أيضاً؛ إنها تهبّ من الخارج، لكنها تجد في الداخل هشاشة تسمح لها بالتمدد. وبين الخارج والداخل تنكشف أزمة العلاقة بين الإنسان ومحيطه: المقهى حين يتحوّل إلى ساحة صراع للهوية، والأسرة التي تظن الأمان والنجاة في العزلة، وغيرها من التقسيمات التي تقدّم تشريحاً ثقافياً لماهية الأفراد وانفصالهم عن العالم. نعيش في فناجين صغيرة من الوعي المحدود لنحمي أنفسنا من التخلي عن «المنطقة الآمنة» التي اعتدناها، مدافعين عمّا خُلقنا به، ولم نجتهد للبحث عنه، أو تبيان صدقه، أو حتى الاقتناع به، لنجد أنفسنا –مع مرور العمر– قد صنعنا سجننا بعقليتنا هذه.

ويمكن فهم الشخصيات بشكل أكبر من خلال قراءة النص، التي لا تتاح حين لا يكون منشوراً. لذلك، وإزاء العرض الواحد، قد تتحوّل هذه الشخصيات المبنية بعناية من قبل المؤلفة إلى شخصيات نمطية أو رموز أكثر من كونها شخصيات مكتملة لها ملامحها الخاصة. كما أن علاقة المتلقي بالحدث أو الشخصيات تتخذ هذا المنحى أيضاً؛ فالنص يوجه للفهم عبر الحوار، بينما لا يفعل العرض ذلك؛ لأن المشاهد قد يحتار أو يختلف في الفضاء التجريدي القابل للقراءة الرمزية.

ويظهر أكثر المشاهد عمقاً في العرض في المقهى؛ حيث يتخذ الصراع بين فئتي الشاي والقهوة شكلاً ساخراً وساذجاً –في الظاهر–؛ فالقهوة –في عين مناصريها– تدل على الأصالة والتراث العربي، بينما الشاي يرمز إلى التبادل الثقافي والتأثر بالآخر. وهكذا يتحوّل نقاش مشروبيْن إلى صراع ثقافي ورمز للهوية الملتبسة. والصراع لا يُحسم؛ لأن المسرحية لا تريد إجابة، بل تكشف عبثية النزاع حول الرموز في مجتمعات فقدت المعنى الحقيقي للهوية، وتشبثت –إلى حد التزمت– بما هو غير ضروري.

أحسن المخرج استخدام قطع الديكور المحدودة والإضاءة الدقيقة للتركيز على الفكرة، وبيان أثر الزوبعة في توالي

المشاهد، حتى في خلق الإيقاع الداخلي، دون الحاجة إلى مؤثر خارجي أو موسيقى مصاحبة تعطي معنى للحدث، مثل مشهد العرّافة الذي يتصاعد بدَقٍّ متواصل يواكب ما قالته. الأزياء أيضاً كانت متسقة مع الحدث لعموم الممثلين؛ ألوان خيش موحدة بنفس التصميم، دلالة على الوقوف على الدرجة نفسها من الوعي، حتى لو اختلفت الأشكال والألوان والأطوال والأعراق. كذلك ظهر في الكتيب الدعائي للممثلين مكياج وتأثيرات على الوجه لم تُبنَ في العرض –أو ربما كانت غير واضحة– علماً بأن وجودها كان سيرفع الدلالات لتأكيد المضامين، وربما يضفي على الشخصيات تفرداً غير الذي يظهر مع المجاميع.

كان اقتراح المؤلفة أن يكون هناك مراقب يفتح العرض وينتهي به عبر جهاز تحكم، فيتحكم بالحدث كما يتحكم بالإعلام. هذا المراقب ليس شخصية درامية فحسب، بل رمزاً للسلطة المعاصرة التي تدير المشهد الثقافي والإعلامي، وتضبط الرؤية، وتقرر متى يبدأ العرض ومتى ينتهي؛ وهي حيلة ذكية يمكن وضع الكثير من التأويلات لها، وتضع العرض أمام سؤال عن ماهية المراقب ومعناه. وحتى لو لم يكن موجوداً –حسب رؤية المخرج حسن فلامرزي– فقد وضع مشهد المذيع الذي اتخذ واجهة علنية لبث الطمأنينة الكاذبة للعامة: «كل شيء تحت السيطرة»، في حين أن الخطر محدق وقريب. وهكذا يدين عرض «الزوبعة» هذه الهيمنة التي تمارس تنويماً مغناطيسياً للشعوب بوضعها في إطار الاستقرار الزائف، في حين أن ما يُحاك في الكواليس أكثر مما يظهر في الصورة العلنية.

في المشهد الأخير، تُغلق الأسرة الأبواب والنوافذ ظنّاً أن العاصفة ستبقى في الخارج، كما نفعل حين نواجه مشاكلنا الكبرى، وننتظر الأقدار أن تحلها بدعاء مُلحّ. لكن حين لا يستجاب، يتصدع الجدار ويتسرب الماء، وينهار البيت، كما حدث مع الأسرة التي فضّلت العزلة تحت مظلة الحذر، لكن مآلهم وبيتهم إلى الخراب. وهذا البيت ليس مكاناً مادياً، بل رمزاً للوعي المغلق الذي يخاف السبب، ويخاف الأسئلة والمواجهة والتغيير. وهنا تكتمل الدورة المأساوية؛ فالزوبعة لم تعد في الخارج، بل في الداخل تماماً.

أجدُ في نص الداوود فكرة عميقة تُقدَّم لجمهور من كل المستويات، وتُلقي برموز صغيرة تُفضي إلى أسئلة مهمة: هل تأتي الفوضى من داخلنا، أم من الخارج؟ وهل الخلاص في الانغلاق، أم في المواجهة؟ هي قراءة رمزية واعية لثقافة الإنكار والخوف التي أنتجت الإنسان المتفرج العاجز عن الفعل، واشتغال مجتهد تماماً من المخرج حسن فلامرزي، الذي يتعاون للمرة الأولى مع الكاتبة، وتعامل فيه مع الرمزية المتقنة، وركّز على المعنى النفسي أكثر من الحبكة التقليدية، واعتمد البناء التفكيكي والمشهدية والإيقاع بدل السرد في البنية الدرامية التي مالت نسبياً إلى الكلاسيكية. ويعد هذا العمل نقلة مختلفة وناضجة عن أعماله السابقة التي تميل إلى المجاميع والروح الشبابية الخفيفة.

فـ«زوبعة» الداوود وفلامرزي ليست مجرد عرض ممتع، بل عملاً يرمي بالتحليل والرموز والمعاني النفسية والاجتماعية، ويمنح فرصة لمراقبة الذات والتفكير النقدي، ليس عن الزوبعة فقط، بل عن العجز عن قراءة الزوبعة داخل وخارج الفنجان.

شرارةُ بلقيس تُشعلُ العراق

د.بروين حبيب

«أتعرف ما معنى الكلمة؟! مفتاح الجنة في كلمة.. ودخول النار على كلمة...الكلمة نور.. وبعض الكلمات قبور» وردت على ذهني هذه الأبيات لعبد الرحمن الشرقاوي والتي اشتهرت على ألسنة الكثير من الممثلين، وأنا أتابع المعركة التي أشعلتها كلمة تفوّهت بها الأديبة العراقية ذات الأصول اللبنانية بلقيس شرارة في حق بدر شاكر السياب أحد كبار شعراء القرن العشرين ومجدديه. ففي بودكاست «سردية» الذي استمر قرابة ثلاث ساعات تحدثت هذه المرأة التي بلغت الثانية والتسعين من عمرها عن شخصيات وأحداث في تاريخ العراق الحديث، وبخاصة أنها في أغلب ما روته كانت شاهدة عيان لقربها من الوسط الثقافي والسياسي العراقي آنذاك فوالدها محمد شرارة الأديب صاحب الصالون الثقافي، وأختها حياة الكاتبة والمترجمة التي أنهت حياتها منتحرة، أما زوجها رفعت الجادرجي فأشهر مهندس معماري عراقي وهو ابن الوزير كامل الجادرجي مؤسس الحزب الوطني الديمقراطي، فلشهادة بلقيس شرارة المحاطة بهذه الترسانة المهمة من رجال الأدب والسياسة قيمة لا تنكر، وقد كان لقاؤها في بودكاست سردية كذلك، لولا «الكلمة».

ففي أثناء حديثها عن صالون والدها الثقافي ذكرت بعض روّاده ومن جملتهم الشاعر العراقي الأشهر بـدر شاكر السياب، وتحدثت عن حبه للشاعرة لميعة عباس عمارة وسعي والدها لتزويج بدر من لميعة، وحين سأل مقدّم البودكاست بلقيس شرارة عن شخصية بدر شاكر السياب، كان جوابها الذي لم يدم أكثر من دقيقة صادماً للكثيرين فبعفوية جارحة أجابت بلقيس «شخصية بدر ضعيفة جدا جدا، هل السبب في ذلك أن شكله ضعيف وقصيّر ووجهه ليس جميلا وأذناه كبيرتان»، وكانت هذه الثواني القليلة كفيلة بإحداث شرخ عمودي في الوسط الثقافي العراقي والعربي أيضا. والمؤسف أن النقاش التي اتسم بالحدّة، لم يكن حول قيمة السياب الشعرية ولا عن ريادته لشعر التفعيلة وما أحدثه ذلك من نقلة مفصلية في مسار الشعر العربي، بقدر ما تمحور حول الجسد وقبحه، وهل ما قيل كان إساءة مبيّتة تكتسي ثوب «التنمر المتأخر» كما وُصفت؟ أم زلة لسان نتجت عن العمر الكبير للمرأة التي اقتربت من القرن، وطبيعة الحميمية في الحوارات البودكاستية؟

لنتفق أن الإشارة إلى مفاهيم القبح أو العاهات أو التشوه والتعيير بها، ليست جديدة في أي أدب ومن يعُدْ إلى مدونة الشعر العربي يجد نماذج عديدة عن ذلك، فلا يغيب عن بالنا أنّ الفرزدق لقِّب بهذا الاسم لضخامة وجهه الشبيه بالرغيف المحروق، والجاحظ سمي هكذا لبروز عينيه، بل نجد أن الحطيئة استبق خصومه في هجاء نفسه بالدمامة فقال: (أرى ليَ وجها قبّحَ الله خلقَه/ فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّح حاملُه)، وفي الأدب الغربي أيضا أمثلة عديدة عن كتّاب تعرضوا للتنمّر اللفظي من زملائهم، فالروائية والشاعرة جورج إليوت عانت من كتابات بعض معاصريها عن قبح شكلها، فقد وصفها الروائي هنري جيمس ذات مرة في رسالة إلى والده بأنّها «قبيحة بشكل رائع، وبشعة بشكل لذيذ». وأضاف بأن الكاتبة «ذات الوجه الحصاني كانت تتمتع بأنف ضخم متدلٍّ وجبهة منخفضة وأسنان سيئة» مما دفعها إلى أن تمزح من نفسها حول قبحها في رسائلها إلى أصدقائها. وكافكا نفسه كان واعيا بعيوبه الخَلقية والخُلقية ولم يترك الفرصة للآخرين بالإشارة إليها، بل سبقهم بوصف نفسه في رسالة إلى حبيبته ميلينا كاتبا «لن تستطيعي البقاءَ إلى جانبي مدّة يومين.. أنا رخوٌ، أزحفُ على الأرض أنا صامتٌ طول الوقت، انطوائيٌّ، كئيبٌ، متذمرٌ، أنانيٌّ وسوداويّ». ومن يتتبع السير الذاتية للأدباء وأدبيّات الخصومة يجد ما لا يعد ولا يحصى من الإشارات إلى القبح الجسدي، وحتى في موضوع السياب ليست هذه أول إشارة إلى ملامحه الجسدية ففي أشهر دراسة أدبية كتبت عنه وأقدمها أعني كتاب إحسان عباس «بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره» يفتتح فصل «صور وذكريات» بهذا الوصف الجسدي للسياب «رُكِّب رأسه المستدير كحبة الحنظل، على عنق دقيقة تميل إلى الطول، وعلى جانبي الرأس أذنان كبيرتان، وتحت الجبهة المستعرضة التي تنزل في تحدب متدرج أنف كبير ... على جانبيه فم واسع، تبرز (الضبة) العليا منه ومن فوقها الشفة بروزا يجعل انطباق الشفتين فوق صفي الأسنان كأنه عمل اقتساري» وهو لا يختلف كثيرا عن وصف بلقيس شرارة غير أن لجوءها إلى التعبير بالعامية العراقية (آذانه كل أذن هالكبرها) جعل الوصف يبدو وكانه شتيمة، وحتى ما قالته بلقيس شرارة عن ولع بدر بالنساء وبتعبيرها (هو كل ما شاف وحدة حلوة ينظم بيها قصيدة) قال مثله وأكثر صديقه محمد الماغوط حين كتب مرة «ما إن سلمت عليه أول معجبة وهي تتنهد حتى ارتخى، وأخذ يصرفني من بعيد بإشارات متلاحقة من يده. وكلما ازداد عدد المتحلقات من حوله بثيابهن الفاخرة وعطورهن المثيرة، ركبه الغرور أكثر وأكثر، وراح يحلق في أجواء من المواعيد الوهمية والأجواء الكاذبة». فلماذا لم يستفزّ ما قاله إحسان عباس أو الماغوط عشاق السياب مثلما استفزهم حديث بلقيس شرارة؟

للإنصاف ما قالته بلقيس شرارة في حق بدر شاكر السياب خطأ وليس خطيئة، وحسنا فعلت السيدة الفاضلة آلاء ابنة السياب بالرد فهي المعنية الأولى بالموضوع فقد تناولت بلقيس من جهة شخصية والدها ووالدتها، ولم تتناول أدبه، وإن

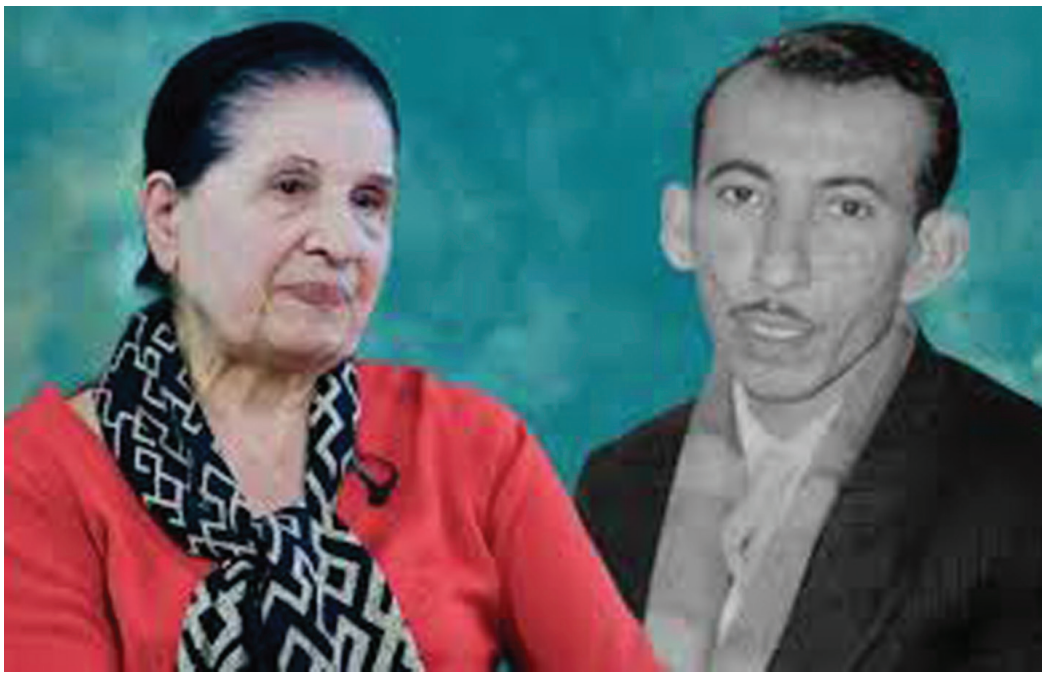

كان رد السيدة آلاء اتسم بالحدّة، فقد رأت في كلام شرارة «تشويهًا متعمّدًا، وافتراءً سافرًا، وإساءة أخلاقية وفكرية لا تستند إلى حقيقة ولا وثيقة ولا شهادة موثوقة» فهو في رأيها «كلام مرسل يفتقر إلى الصدق، ويكشف عن جهل أو تحامل» وأردفت ذلك بسلسلة من النعوت مثل: الأكاذيب، الافتراء، إساءات، تصفية حسابات شخصية رخيصة، روايات مشبوهة الدوافع، بل ترفعت آلاء حتى على أن تذكر اسم بلقيس فسمتها «زوجة رفعت الجادرجي»، وليس من حق أي كان أن يطالب ابنة السياب بالاعتدال في ردها فليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة، ولكن ما ليس مقبولاً أن يقابل التنمر كما وصفوه بتنمر أشد، كأن يصرح الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب في البصرة الشاعر علي الإمارة بأن «هذا الكلام صدر عن شخصية غير معروفة في الأدب العراقي أو العربي، وغير مهمة في النقد أو في الآراء الأدبية»، أو أن يُختصر منجز بلقيس شرارة في كتابها «الطباخ: دوره في حضارة الإنسان (التطور التاريخي والسوسيولوجي للطبخ وآداب المائدة)» وهو بالمناسبة موسوعة من 750 صفحة فريدة في بابها فيكتب أحدهم مقالا بعنوان «نخل جيكور وثرثرة القدور» ورد فيه «هي صاحبة مؤلفات تترنح بين الجدران والقدور، وذاتها التي قضت سنوات عمرها ترتب الصحون في مؤلفاتها»، ويرى أن حديثها المعيب عن السياب –وهو معيب حقا– ليس مجرد سقطة لسان أو زلة ذاكرة، بل هو (قيء ثقافي) واستعلاء طبقي مقيت. ويمكن للقارئ الموضوعي أن يجمع قاموسا من الشتائم بحق عجوز تسعينية أخطأت فيما يشبه الثرثرة النسائية العفوية في حق رمز من رموز العراق، فنقرأ أوصافا مثل (الاستعلاء النفسي– تكريس ثقافة التسطيح – وتغذية النزعات التنمرية في المجتمع – خُبثٍ طبقي متأصل– قُبحٍ ثقافي). لماذا لم نضع كلام السيدة بلقيس في إطاره الصحيح، ونتغاضى عن أنها في نفس الموضع من حديثها قالت عن السياب «... لكنه كان إنسانا عبقريا بالحقيقة، بالنسبة للشعر ولما قدمه» ونتناسى أنها تذكّرت السياب في ذكرى وفاته الستين فكتبت عنه مقالا مطولا في جريدة المدى في حين أن أغلب من هاجموها لم نسمع لهم صوتا.

زلّة لسان بلقيس شرارة وسوء تعبيرها يجب أن يكونا فرصة لإعادة بعث شاعر المطر واستكشاف جوانب جديدة في منجزه الشعري وتعريف الأجيال الجديدة بشعره، لا استغلال الغلط البلقيسي لاتخاذ سمعة السياب مطيّة توصل مستغلي الموقف إلى مآرب أخرى، ما صرّحت به الأديبة بلقيس لطخة سوداء هامشية على المتن السيابي لا ينبغي تضخيمها لتغدو هي المتن فيتضائل معها إبداع ابن جيكور، فنسيء إليه بأكثر من الإساءة التي نزعم إدانتنا لها.

أنت الذي علمتنا

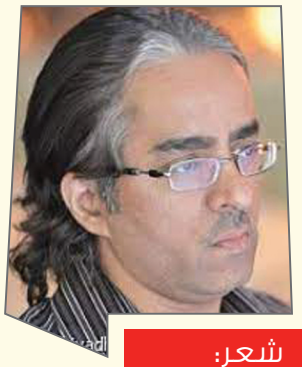

شعر:
عبدالوهاب أبو زيد

(إلى الشاعر محمد العلي)

تمرُّ بك التسعون خجلى كأنها
تمرُّ على نبعٍ أبى أن يُكدّرا

كأنك لم تعبر سوى في خيالها
كأنك تأبى أن تشيخَ وتكبرا

فذهنك وقّادٌ وروحك لم تزل
تسيلُ على الأرض الجديبةِ أنهرا

وقلبك طفلًا ما يزال معلقًا
بكل جمالٍ في نواحيهِ أمطرا

فعش مثلما نهوى بعيدًا عن القذى
مقيمًا كما قد كنت في شامخ الذرى

فأنت الذي علمتنا رغم عتمة
أحاطت بنا في غمرةِ الجهلِ أن نَرى

وأنت الذي علمتنا الشعرَ من مشى
بنا نحوه حين المدى منه أقفرا

لنبصره بالقلب والعقل هادرًا
شجيًّا أبيًّا لا يُباعُ ويُشترى

صنع الله إبراهيم في «أمريكانللي» (أمري كان لي)

حميد الملا

صاغ صنع اللّه إبراهيم هذه الرواية بأسلوب جديد مختلف عن بقية رواياته العديدة، وتعتبر من أهم أعماله التي تمزج بين السيرة الذاتية والواقع السياسي، إذ تداخلت الأفكار والأحداث والمواقف والأحاسيس والمنطلقات الثقافيّة والإيديولوجية بين مصر والولايات المتحدة الأميركية فتشابكت وتفاعلت وانصهرت ففعل ما لم يفعله غيره من الروائيين العرب إلا قلة منهم في مزج واقعين مختلفين.

حفلت الرواية التي تقع الرواية في 397 صفحة، صدرت الطبعة الأولى منها في العام 2003، بمواضيع العديدة وبمعلومات مهمة عن كلا البلدين، ما يؤهلها لأن تكون من الروايات المهمة لأمد بعيد لكونها تعبر تعبيراً صادقاً عن الأدب الرفيع وفّنّ السرد الحقيقيّ، والمؤكد أن صنع الله إبراهيم عندما كتب روايته هذه عكف على قراءة العديد من المصادر والبيانات والإحصائيات وعاش كما لو أنه مواطن أمريكي متنقلاً بين القاهرة وسان فرانسيسكو، المكانان التي تدور فيهما الأحداث.

وأنا أقرأ الرواية تذكرتً البرنامج الموضوع لنا أثناء زيارتنا للولايات المتحدة الأمريكية في شهر مايو 2004 (برنامج الزائر المتميز) وتحذيرات القائمين على الزيارة لنا، كما في الرواية «لا تفتح باب مسكنك لطارق قبل أن تتأكد من هويته»، إلى آخره من التحذيرات الواجب الإلتزام بها وإلا وقعت في محذور.

يفضح الراوي تفاصيل الحياة في أمريكا من واقع معايشته بصفته بروفيسوراً مُعاراً يدّرس في الجامعة الأمريكية بولاية فرانسيسكو، استطاع في فترة بسيطة معرفة ما يدور في هذا البلد الذي أتاه وهو يجمل موروثات بلده مصر، وعليه كان يسرد لطلابه واقع الحياة المزري في مصر وكيف استطاع الوصول إلى مرتبة الاستاذية رغم كل المعوقات والإخفاقات التي واجهته في طريقه للحصول على هذه المرتبة العلمية.

يندمج في المجتمع الأمريكي ليكتشف أمراض المجتمع؛ أعداد المشردين والفقراء (ثلث الأمريكيين يعيشون تحت خط الفقر) ونا فيها من بطالة ودعارة واغتصاب وتمييز: «هناك ثلاثين عرقاً رئيسياً مرتبين هرمياً، الوظائف الأعلى للبيض، يليهم السود، ثم الهسبانيك، أبناء أمريكا اللاتينية، فالأسيويون وبقية الأعراق».

صوّر لنا حياة هذا الخليط من البشر، المشرّدين أو ناس الشوارع، المفصولين من العمل «يقولون إنّ منصبك مأمون، ثم يتخلصون منك في لمح البصر، عندما يعثرون على من يؤديه بنصف الراتب»، الفقراء غير القادرين على إدخـال أبنائهم المدارس، مدمني

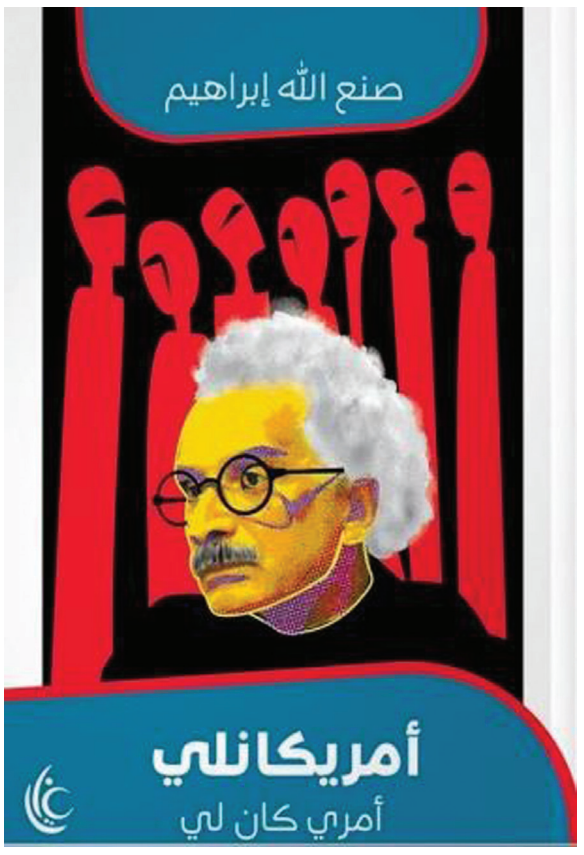

المخدرات، الجريمة، حالات الاغتصاب اليومية، السطو المسلح، السرقات.

وهناك أيضاً الأنماط الجاهزة للإتهامات لمختلف الأعراق «الأسود مجرم ومغتصب، والمكسيكي تاجر مخدرات، والعربي إرهابي».

استطاع صنع الله أن يبعث للقارئ رسائل عديدة تتمثل في مقدرته على إيصال أفكاره وأفكار المفكرين والعلماء والباحثين الآخرين بسهولة، حيث استعان بهم في إيصال هذه المعرفة لطلابه أيضاً، فطلب منهم تحضير ما يناسب الدرس، خاصة وأنهم طلّاب ماجستير ودكتوراه، فأوصل بهذه الطريقة فحوى تلك المعارف للقارئ، من خلال تأسيس الراوي محاضراته على أطاريح مفكرين وعلماء وأدبـاء مثل جورجي زيدان عميد الرواية التاريخية الكلاسيكية العربية، الكسندر دوماس مؤلف رواية «الفرسان الثلاثة»، رفائيل ساباتيني الروائي الإنجليزي، جمال حمدان أستاذ الجغرافيا البشرية المصري المعروف صاحب الموسوعة الشهيرة «شخصية مصر، دراسةً في عبقرية المكان»، هيغل وفوكوياما ونظرية نهاية التاريخ، ابن خلدون، هُنبل المؤرخ من رواد التاريخ المقارن، كاثلين وينسون صاحبة رواية «عنبر إلى الأبد، أحمد صادق سعد، فرناند بروديل المؤرخ الفرنسي، المؤرخ الأميركي بول كنيدي، أرنولد توينبي، رشدي سعيد أستاذ الجيولوجيا المصري المعروف، الكاتب الأمريكي المور ليونارد وغيرهم العديد، حيث لخص لنا الكاتب أفكار هؤلاء في الرواية، فأجاد فن الدمج بين ما هو خاص بالعام، ونجح في إيصال هذا الكم من المعلومات إلى القارئ بإسلوب بسيط وواضح.

لم يهمل صنع الله إبراهيم أيضاً التاريخ المصري القديم، فأفرد له حيزاً من خلال بحوثه كراو متقمصاً شخصية البروفيسور، عن الملكة حتشبسوت، التي حكمت مصر من 1479إلى 1458ق.م، والتي أغرم برسم وجهها، الجبهة العريضة، والعينين الواسعتين، والأنف المستقيمة، والشفاه الحسية الرقيقة فكانت المقارنات بين الحقب التاريخية من مختلف النواحي عنوان أيضاً لتلك المحاضرات.

كان للقضية الفلسطينية حضورها أيضاً في الرواية، من خلال (المؤرخين الجدد) في إسرائيل مثل (يني موريس) و(إيلان بابي) الذي يرى «أن الحركة الصهيونية تحولت إلى حركة كولونيالية استعمارية. كما أن (يني موريس) في كتابه «تصحيح خطأ» يقول: «لقد كذب زعماؤنا علينا عندما أخبرونا أن عرب (اللد) و(الرملة) طلبوا مغادرة بيوتهم بمحض إرادتهم ... كذبوا علينا عندما أبلغونا بأن المتسللين الفلسطينيين إرهابيون متعطشون للدماء، وأن الدول العربية أرادت تدميرنا ... أما كذبة الأكاذيب التي أسموها (الاستقلال) فهي «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض».

(يوسف تحماني) أحد قادة الحركة الصهيونية المولود في أوكرانيا السوفييتية أكد أن «الترويع

كان جزءاً من عملية إرغام العرب على مغادرة أراضيهم»، وكتب يقول: «إن الأعمال التي ارتكبها جنودنا في قرية (الصفصاف) كانت في منتهى البشاعة، فمثلاً بعد أن استولى الجنود على القرية، ورفع سكّانها الأعلام البيضاء جمعوهم وفرّقوا بين الرجال والنساء ثم قيّدوا أيدي الرجال بعد أن أوقفوهم في صف واحد وأطلقوا النار عليهم وقتلوهم جميعاً وعددهم نحو 60 رجلاً ثم القوا بهم في حفرة واحدة. وبعد ذلك أغتصبوا النساء ثمّ نقلوهن إلى غابةٍ مجاورة وقتلوهن، وقد رأيت امرأة مقتولة، وبين ذراعيها طفلها المقتول هو الآخر».

وعلى هذا نجد على الحائط ملصق يحوي وجوهاً لكل من (بيجن) و(نتنياهو) و(شارون) وأسفل كل وجه قائمة بالمذابح التي ارتكبها صاحبه في حق الفلسطينيين، ثم عبارة تختصر ما يجري في إسرائيل (الدولة اليهودية هي المكان الوحيد في العالم الذي تعمل فيه فرق قتل قانونية، وتجاز فيه سياسة الاغتيال.)

صعود الإمبراطوريات وإنهيارها جانب آخر تطرق إليه المحاضر (فارس، روما، الأزتيك والإنكا) ومقارنة كل ذلك مع الفراعنة، فصعود الدول وسقوطها يبدأ بما تحققه من رخاء ورخاوة وتبذير كما يقول (ابن خلدون) وهذا ينطبق على الإمبراطورية الإسبانية والرومانية وغيرها من الإمبراطوريات.

لا تخلو الرواية من توصيفات جميلة لكل ما شاهده وعاشه الرواي سواء في مصر أو أمريكا حيث تصادفنا مشاهد إغراء وخفة وأحاسيس مرهفة للعشاق والمتحولين جنسياً، وفضائح سياسية وصلت لرأس الدولة، كفضيحة الرئيس بيل كلينتون في العام 1998 مع المتدربة في البيت الأبيض مونيكا لوينسكي (كانت بعمر 22 سنة)، والضجة التي أثيرت حولها وإشغال العالم بالتقرير الذي وضعه المدعي المستقل (كينث ستار) الذي عينه الكونغرس للتحقيق في سلسلة قضايا مرتبطة بالرئيس، والواقع في 445 صفحة، وصف فيه تفاصيل العلاقة وخلفيتها، كاشفاً كذب كلينتون على هيئة المحلفين عندما قال "إن (مونيكا) أتت فعلاً جنسياً معه، أما هو فلم يرتكب فعلاً معها."

كلينتون هو نقسه من أمر بقصف مصنع في السودان مدعياً بأنه لغازات الأعصاب ليتضح لاحقاً بأنه مصنع أدوية، في سياق الحروب والتدخلات العسكرية الأمريكية من فيتنام إلى العراق الذي تعرض لعقوبات اقتصادية توفى بسببها خمسة آلاف طفل كل شهر.

عطر الصبابة

بتول حميد

لم أضع في حسباني
أن الحبّ أحيانا أن نمضي
نترك الشوق كوردةٍ صغيرة
في جيب معطف شتوي
خوفاً من أن يتسرب عطر الصبابة

***

كلُ شيءٍ يخُصُك
يتوهجُ في ذاكرتي
يلمع في عينيّ
كبيتٍ مظلم يرقُبه غريب
ويتأكدُ من نافذتيه العلويتين
بأنه مضاءٌ بشمعة واحدة!

***

أفرط في تعاطي مورفين الخيال حدّ أن..
تتلبسني خفة أليفة
تخبرني بأن ما أعيشه
ليس أيام عمري
أنا أعيش حياة شابة أخرى
نسيت فستانها على جسدي
ويوماً ما ستتفقد دولابها
وتعيدني إليّ!

***

تربطني علاقة عريقة
بالذين يغنون رغم تواضع أصواتهم..
بمن يرقصون بخفة
رغم ثقل الحنين

***

الأغنية التي ظننت أنها لنا وحدنا
ودندت بها في سِري
تدور الآن في المقهى
وتُشيّع قلبي

***

بعد ألف ليلةٍ من الكلامِ المُباح
ماتَ ديكُ الفجر
قرأت شهرزادُ على حَكاياها
تعويذةَ الخلود..
ضَوَعت البخورَ في حريرِ قُفطانِها
سممت التفاحَ وكرومَ العنب
هَرَبتْ من مقصلةِ الفِراق..
تمنت
ليلةً واحدة فقط
وأسدلت جفنيها

التقدمي

التقدمي العدد 219 ـ فبراير 2026 السنة 24 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

العـام الجـديـد

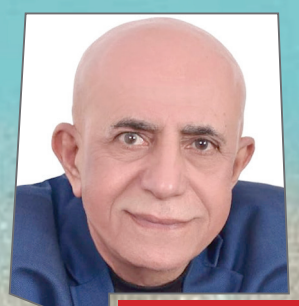

شعر:
عبدالحميد القائد

عامٌ جديدٌ أم صديءٌ
أعادوا طلاءَه بعَرَقِ وَجه هولاكو
وهو يخرجُ بوجهٍ جديدٍ في كل العصور
فخلفَ هذه البراري البخيلةِ قصور
تقف شامخةً تتحدى أنفاسَنا
ونحنُ ماذا ننتظرُ هنا
في الساحاتِ التي نسيرُ فيها مُطَأطِي القلوبَ
سوف لن يعودَ «جودو»
داسته الخيولُ التي نَفقَت وهي تنشدُ العدالةَ
نسير بالبالوناتِ الملوّنةِ
والقبعاتِ الناتئةِ المصممةِ كي ننسى
تمنحنا فرحًا وقتيًّا
يهربُ بعد الثانيةِ عشرةَ
إلى الكهوفِ الموحشةِ مثلَ أرواحنا
هل في الأفق فرحٌ قادمٌ على ظهر بُراق
فنحنُ كلّنا اشتياق
تعبنا من انتحار الرؤَى فينا

وغروبِ ابتساماتِنا البريئةِ إلى جهاتٍ لا تبغينا

تعالَوا نصلّي الليلةَ صلاةَ استسقاءِ البهجة
فأساريرنا بدأت تتجمدُ من صفاءٍ لا يجيء
والليلُ وعَدَنا بسلالَ من المنِّ والسلوى
ونحنُ ننتشر في المقاهي شبه مُشرّدين
أكوابُ قهوتنا ملّت من النظرِ إلينا
ونحن نحدّق في الفراغ
والجدوَى يهرب منّا
تتساقط على ظهورنا
الضفادعُ والفيلةُ ولا ندري
لنغمضَ
أعينَنا قليلًا
نتخيلُ فقط
بأننا على غيمةٍ سحريةٍ
تأخذُنا إلى مدنٍ بِلا قلق
ونعوذ بربِّ الفَلق

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com